الباب الثاني

القضايا البلاغية في الشروح

الفصل الأول: علم المعاني

الفصل الثاني: علم البيان

الفصل الثالث: علم البديع

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول: مباحث علم المعاني وقضاياه

أولا: التقديم والتأخير

ثانيا: التنكير والتعريف

ثالثا: الذكر والحذف

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول: مباحث علم المعاني وقضاياه

يدل مصطلح "المعاني" عند البلاغيين على الوظائف النحوية للتراكيب، والكيفيات والهيئات التي يتشكل بها التعبير، بشكل يتيح للمتلقي التعرف على أسرار الكلام، ومن ثم التمييز بين جيده ورديئه، فعلم المعاني كما يعرفه السكاكي هو " تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره " (١)، وعرفه الخطيب القزويني بأنه "علم يعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال" (٢).

إن الهدف البلاغي الذي يؤسس له علم المعاني إذن هو " مطابقة الكلام لمقتضى الحال "، الذي يتسع ليشمل حال عناصر الخطاب الأربعة؛ المتكلم، والمخاطب، والسياق، والموقف، فهو بذلك أوسع أفقا، وأكثر رحابة في تحليل مكونات الجملة.

إلا أن علماء البلاغة اتجهوا في تناولهم لعلم المعاني إلى " البحث في مكونات الجملة على غرار ما كان في النحو، فانحصر ميدان علم المعاني في الأحوال النحوية للألفاظ، ووقف عند حدود أوضاع اللفظ التي يطابق بها مقتضى الحال؛ لذا فقد بدأوا بالتمييز بين نوعين من الكلام؛ هما الخبر والإنشاء، وعقدوا علم المعاني عليهما، وعلى ما يتفرع عنهما من جزئيات " (٣)، يقول السكاكي: " إن التعرض لخواص تراكيب الكلام موقوف على التعرض لتراكيبه ضرورة، لكن لا يخفى عليك حال التعرض لها منتشرة، فيجب المصير إلى إيرادها تحت الضبط بتعيين ما هو أصل لها وسابق في الاعتبار، ثم حمل ما عدا ذلك عليه شيئا فشيئا على موجب السياق. والسابق في الاعتبار في كلام العرب شيئان: الخبر، والطلب ... وما سوى ذلك نتلقح امتناع إجراء الكلام على الأصل " (٤).

وعن سبب حصر مقاصد علم المعاني في هذين القسمين، سوى أن ذلك ما جرى عليه كلام العرب كما أشار السكاكي، يقول الخطيب القزويني: " ووجه الحصر أن الكلام إما خبر أو إنشاء؛ لأنه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه، أو لا تطابقه، أو لا يكون لها خارج. الأول: الخبر، والثاني: الإنشاء " (٥).

ويعد عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) المصدر الذي استقى منه السكاكي والقزويني وسائر البلاغيين بعد القزويني فهمهم لعلم المعاني، بعد أن أضافوا إليه، وتوسعوا فيه، فنظرية النظم التي وضعها الجرجاني تقوم على تحليل علم المعاني على أساس التركيب النحوي، فعبارة " معاني النحو " عنده تشير إلى علم المعاني، حيث يقول: " ... فلست نواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا، وخطؤه إن كان خطأ إلى " النظم "، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد، وتلك المزية، وذلك الفضل، إلى معاني النحو وأحكامه " (٦).

---

(١) السكاكي: مفتاح العلوم ، حققه وكتم له وفهرسه د/عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م ، ص ١٦١.
(٢) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة (١ / ٥٢).
(٣) د/أحمد مطلوب خلف الربيعي: مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، السعودية، جامعة أم القرى، ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦ م ، ص ٥٤٦.
(٤) السكاكي: مفتاح العلوم ، ١٦٣ ، ١٦٤.
(٥) القزويني: الإيضاح (١ / ٥٥).
(٦) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ، ٨٢.

ومن خلال نظرية النظم تعددت أنواع علم المعاني مثل: التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والإضمار والإظهار، والتعريف والتنكير، ..... إلخ.

ونظرية " مطابقة الكلام لمقتضى الحال " تتسم بالمرونة والحرية في اختيار التراكيب المناسبة لسياق الحال، والظروف التي تكتنف عملية الكلام، وهذه المرونة وتلك الحرية قد تدفع إلى بعض الاستثناءات التي تشذ بالكلام وتراكيبه عن قاعدة الاستعمال، وهو ما عبر عنه البلاغيون بـ "الخروج عن مقتضى الظاهر" أو "الخروج على خلاف مقتضى الظاهر " [1]، أي ظاهر الحال، " فإذا كان الحال هو الأمر الداعي إلى إيراد الكلام على كيفية مخصوصة، اتضح أن المراد بمقتضى الظاهر أخص من مقتضى الحال، فقد يكون مقتضى الظاهر أن يأتي التركيب على صورة، ولكن مقتضى الحال يدعو إلى غيرها، وعند ذلك لا تتحقق مطابقة الكلام لمقتضى الحال إلا بالخروج عن مقتضى الظاهر، فكل كيفية اقتضاها الحال فهي مطابقة، سواء ألفت مقتضى الظاهر أو خالفته " [2].

وصور خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر في علم المعاني كثيرة، أشار البلاغيون إلى كثير من صورها ضمن مؤلفاتهم [3].

وهذه الصور من صور الخروج وغيرها " تضفي على الأسلوب لمسة فنية ، وتكسبه قيمة جمالية بما تحدثه من صدمة ذهنية لدى المخاطب حين يفاجأ بما لم يتوقع " [4]، وقد أشار بها السكاكي بقوله: " ولهذا النوع، أعني إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر أساليب متقنة، إذ ما من مقتضى كلام ظاهري إلا ولهذا النوع منه فيه بجهة من جهات البلاغة .. ولكل من تلك الأساليب عرق في البلاغة بنسب من أفانين سحرها " [5]، وهو ما يؤكده الخطيب القزويني حينما يرى أن اتباع هذه الطريقة في الكلام تشهد لها بالبلاغة والبراعة في القول، ويدعم رأيه بالاستشهاد بما " روي عن الأصمعي أنه قال: كان أبو عمرو بن العلاء وخلف الأحمر وأبان بشارا، فيسلمان عليه بغاية الإعظام، ثم يقولان: يا أبا معاذ ما أحدثت ؟ فينشدهما، ويكتمان عنه متواضعين له، حتى يأتي وقت الزوال ثم ينصرفان، فأتياه يوما فقالا: ما هذه القصيدة التي أحدثتها في ابن قتيبة ؟ قال: هي التي بلغتكما ... قالا: فأنشدناها يا أبا معاذ، فأنشدهما: (الخفيف)

بَكِّرَا صَاحِبَيَّ قَبْلَ الهَجِيرِ ... إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ

حتى فرغ منها، فقال له خلف: لو قلت يا أبا معاذ مكان " إن ذاك النجاح ". بكرا فالنجاح، كان أحسن، فقال بشار: إنما بنيتها أعرابية وحشية " إن ذاك النجاح " كما يقول الأعراب البدويون، ولو قلت: " بكرا فالنجاح "، كان هذا من كلام المولدين، ولا يشبه ذاك الكلام، ولا يدخل في معنى القصيدة، قال: فقام خلف وقبل بين عينيه " [6]، وعقب على ذلك بقوله: " فهل كان ما جرى بين خلف وبشار بمحضر من أبي عمرو بن العلاء - وهم من فحولة هذا الفن - إلا للطف المعنى في ذلك وخفائه ؟ " [7]، في إشارة إلى ما في هذا المسلك من دقة وغموض.

---

(١) انظر: السكاكي: مفتاح العلوم ، ١٩٧، القزويني: الإيضاح (١ / ٧٢ ، ٢ / ٨٠).
(٢) د/محمد صالح خلف الرميحي: مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، ص ٥٧٥ ، ٥٧٦.
(٣) انظر على سبيل المثال صور خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر في أعوان الإسناد الخبري: السيد الشريف الجرجاني: حاشية السيد على المطول ، المطبعة العثمانية ، ١٣١٠ هـ ، ص ٧٥.
(٤) د/محمد صالح خلف الرميحي: مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء ، ص ٥٧٧.
(٥) السكاكي: مفتاح العلوم ، ٣٦٧.
(٦) القزويني: الإيضاح (١ / ٧٣ ، ٧٤).
(٧) نفسه: (١ / ٧٤).

وقد جرت عادة البلاغيين في استخدام بعض المصطلحات المتوارثة مع الحديث عن " مطابقة الكلام لمقتضى الحال " من قبيل: " أصل المعنى "، أو " أصل المراد "، أو " أصل معنى الكلام "، أو " معنى الكلام وحقيقته " [1]، وتوارد تلك المصطلحات في ثنايا الحديث عن هذا المسلك يدل على أن " معرفة أصل المعنى تبدو مهمة بالنسبة للبلاغي في ظل الكلام عن الكيفيات التي يطابق بها اللفظ مقتضى الحال؛ لأنه من خلالها يستطيع أن يكشف عن المزايا الفنية في التركيب، وبالتالي يستطيع أن يحدد مواطن الصواب أو الخطأ البلاغي، وفق ما تمليه نظرية مطابقة الكلام لمقتضى الحال " [2]، وهو ما نجد له صدى عند الشراح في تناولهم لمباحث علم المعاني في النصوص، كما سيتبين لنا لاحقا.

وعلى الرغم من أن مسائل علم المعاني لم تنل ما نالته سائر علوم البلاغة الأخرى من بيان وبديع من اهتمام الشراح وعنايتهم، إلا أنها ـ على قلة الإشارة إليها ـ تظل كثيرة ومتنوعة ولها حضور في الشروح، وإن كانت ـ كما ذكرنا آنفا ـ إشارات الشراح لها موجزة مقتضبة، كما كان تناولهم لها ـ غالبا ـ من وجهة نظر نحوية، ولم يبينوا أثرها الدلالي أو البلاغي، أقول وعلى الرغم من ذلك فقد أثرت تسليط الضوء عليها، في محاولة لتحديد أبرز صورها ومظاهرها في الشروح.

ولقد نبه الشراح إلى كثير من مسائل علم المعاني، وكذلك صور الخروج التي تتحقق بها مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وتكسب الكلام قوة وجمالا، وتجعله أكثر تأثيرا، ومن أبرز ما تحدثوا عنه ما يلي:

التقديم والتأخير:

إن الأصل في الكلام أنه ينقسم إلى جمل، والجمل بدورها تنقسم إلى جمل اسمية، وفعلية. والأصل في التركيب الاسمي للجملة أن يتقدم المبتدأ ثم يتلوه الخبر، والتركيب الفعلي للجملة تبدأ فيه بالفعل ثم الفاعل ثم مكملات الجملة من مفعولات مختلفة أو توابع كالعطف والبدل .. إلخ.

إلا أنه ـ أحيانا ـ ولأغراض بلاغية معينة، يختلف ترتيب الجملة، ونظامها، فيتقدم ما حقه التأخير، ويتأخر ما حقه التقديم، مما يؤثر على الدلالة وانتقالها من مستوى إلى مستوى آخر ومن ثم كان تقسيم القدامى للتقديم إلى مفيد وغير مفيد، مما أثار حفيظة عبد القاهر فقال: " واعلم أن من الخطأ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين، فيجعل مفيداً في بعض الكلام وغير مفيد في بعض، وأن يعلل تارة بالعناية وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب، حتى تطرد لهذا قوافيه ولذلك سجعه، ذاك لأن من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة ولا يدل أخرى، لمتى ثبت في تقديم المفعول مثلاً على الفعل في كثير من الكلام أنه قد اختص بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخير، فقد وجب أن تكون تلك قضية في كل شيء وفي كل حال، ومن سبيل من يجعل التقديم وترك التقديم سواء أن يدعي أنه كذلك في عموم الأحوال، فأما أن يجعله شريجين فيزعم أنه للفائدة في بعضها، وللتصرف في اللفظ من غير معنى في بعض، فمما ينبغي أن يرغب عن القول به " [3].

---

(١) انظر: السكاكي: مفتاح العلوم ، ٧٥ ، ١٦٣، ٢٨٥، القزويني: الإيضاح (٣ / ١٢٣).
(٢) د/محمد مسلم خلف الزبيدي: مقاييس البلاغة بين الأنباء والعلماء: ص ٥٨٣.
(٣) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ، ص ١١١.

obeikandl.com

وللتقديم والتأخير فوائد جمة، أسهب كثير من البلاغيين في سردها، وهي تدور في معظمها حول تركيز العناية والاهتمام بالعنصر المقدَّم، يقول عبد القاهر الجرجاني رحمه الله متحدثا عن فائدته: " هذا باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطُف عندك، أن قدم فيه شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان "(1).

وقد تحدث غيره عن قيمة هذه الظاهرة في اللغة العربية بل وصفها بأنها " مظهر من مظاهر شجاعة العربية؛ فلها إقدام على مخالفة القرينة من قرائن المعنى من غير خشية لبس، اعتمادا على قرائن أخرى، ووصولا بالعبارة إلى دلالات وفوائد تجعلها عبارة راقية ذات رونق وجمال " (2).

وتأتي دراسة شراح التقديم والتأخير ممن تناولهم لأشعار الحماسة، مكملة لمجهود من سبقهم من البلاغيين والنحاة، فالنظام النحوي في ترتيبه المثالي لم يأت على هذا الترتيب في أشعار الحماسة، فثمة تغييرات تطرأ على سلك النظم والترتيب داخل النص الشعري. إذ يقدم عنصر أو يؤخر آخر؛ مما يكون له كبير الأثر على المعنى والدلالة.

وسأبحث - إن شاء الله - في التقديم والتأخير عند شراح الحماسة في تناولهم لهذه الظاهرة ضمن أشعار الحماسة، مبتدئا بالتقديم والتأخير في الجملة الاسمية، ثم الفعلية، وبعد ذلك سأتناول - إن شاء الله - التقديم والتأخير وعلاقته بالسياق، خاصة سياق التقديم في اللفظ والتأخير في المعنى، وسأذكر في خلال ذلك كله الأغراض البلاغية التي نصّ عليها شراح الحماسة، وقسم من البلاغيين الأوائل مضيفاً ما أجدهُ مُناسبًا من الأغراض التي لم يذكرها الشراح وهم يتحدثون عن هذه الظاهرة.

أولا: التقديم والتأخير في الجملة الاسمية:

١ - تقديم الخبر:

جرت العادة بين البلاغيين على أن ظاهرة التقديم يتحكم فيها المتكلم، فهو يقدم ما كانت العناية به أشد؛ قصدا إلى التأثير في السامع، إلا أنه توجد بعض الأغراض البلاغية الأخرى التي يقصد المبدع تضمينها كلامه من خلال أسلوب التقديم والتأخير.

فقد يتقدم الخبر لغرض بلاغي أو لسياق الكلام، وقد ورد تقديم الخبر في قول أبي بن حمام: (الطويل)

وَسَيَّانِ عِنْدِي أَنْ أَمُوتَ وَأَنْ أَرَى ... كَمِثْلِ بِخَيْلٍ يوطِنُونَ المَخَازِيَا

" ارتفع سيان على أنه خبر مقدم لقوله " أن أموت وأن أرى "، والمعنى: مثلان عندي موتي وأن أرى كمن يألف المخازي ويرضاها وطناً ومأوىً، ولا يأنس إلا بها، ولا يرجع إلا إليها. وهذا تعريضٌ بالمخاطب أيضًا. والسي: المثل. قال: (الحطيئة) (الوافر)

---

(١) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ١٠٦.

(٢) انظر: ابن حسن: الخصائص، (٢ / ٣٦٠ : ٤٤٧). في حديثه عن " شجاعة العربية " حيث نراه تحدث تحت هذا العنوان عن أساليب كثيرة تخرج على خلاف مقتضى الظاهر، كتصدير الشأن أو القصة، وتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث، والتقديم والتأخير، والعديد من الصور التي تحتوي تحته بمفهومه الواسع.

فإيَّـــــاكُمْ وحَيَّـــــةً بطْـــــنِ وادٍ هَمُـــوزِ النَّـــابِ لَـــيْسَ لكُـــمْ بِـــسَبْيِ " [1] .

وقد يكون التقديم للإنكار، كما جاء في قول: وقالت عمرة الخثعمية، ترثي ابنيها: (الطويل)

لَقَـــدْ زَعَمُـــوا أنِّـــي جَزِعْـــتُ عليهمـــا وَهَـــلْ جَـــزِعٌ أنْ قُلْـــتُ: وا بِأَبَاهُمَـــا

يقول المرزوقي: " الزعم يستعمل كثيراً فيما لا حقيقة له، لذلك قالت فيما حكمت عن القوم: زعموا. كأنها لما استشرف الناس جزعها وهلعها، فتذاكروا أمرها فيما بينهم أظهرت الانكار والتكذيب فيما توهموه، فقالت: وهل جزع أن قلت وأبأباهما، من التوجع لهما على قدر القتل: وأبأباهما. ولفظة (وا) تألم وتشك، وهي حرف للندبة. و(بأباهما) أرادت: بأبي هما، ففر من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة فانقلبت ألفاً. على ذلك قولهم: بداة وناصاة، في نادية وناصية. وقولها (وهل جزع) ارتفع جزع على أنه خبر مقدم، (وأن قلت) في موضع المبتدأ، وبأبا خبره. هذا على طريقة سيبويه ، وعلى مذهب الأخفش يرتفع بالظرف. ورواه بعضهم: (بأباهما)، أي أنديهما بنفسي وأنا هو ضمير المرفوع، وقد وقع موقع المجرور، وكقولهم: هو كأنا، وأنا كهو " [2].

وكذلك ما جاء في قول رجل من بني سعد: (الطويل)

ألا يكـــــذبَ أمُّ الكِـــــلابِ تَلُـــومُنِي تَقُـــولُ ألا قَـــدْ أَبْكَـــأَ الـــدَّرُّ خالِيَـــهْ
تَقُـــولُ: ألا أَهْلَكْـــتَ مـــا لَـــكَ ضَـــلَّةٌ وهَـــلْ ضَـــلَّةٌ أنْ يَنْفَـــقَ المَـــالُ كاسِـــبُهْ

فـ (هل ضلة) خبر مقدم و(أن ينفق المال) في موضع المبتدأ، والمعنى يخرج للإنكار الإبطالي، وذكر الشارح هذا الشعر فقال " وقوله هل ضلة خبر مقدم، وأن ينفق المال في موضع المبتدأ. والتقدير: وهل إنفاق كاسب المال له ضلال " [3].

وفي أثناء ذلك نجد الشراح يستشهدون ما أمكن بأشعار العرب، التي تدعم ما يذهبون إليه من تفسير وتحليله من ذلك حديث الشارح عن تقديم الخبر (شحيحان)، الذي يفيد التعظيم في قول: وقالت عمرة الخثعمية، ترثي ابنيها: (الطويل)

هُمَـــا يَلْبَـــسَانِ المَجْـــدَ أحْـــسَنَ لِبْـــسَةٍ شَـــحِيحَانِ مَـــا اسْـــتَطَاعَا عَلَيْـــهِ كِلاهُمَـــا

" وصفتهما بأنهما يكتسبان المجد ويستمتعان به أحسن استمتاع وأجمل اكتساب، وأنهما يضنان به حيث ظهر وطلع فلا يتركانه لأحد مادام يتطيعان كسبه والفوز به. وانتصب (أحسن لبسة) على أنه مصدر. وارتفع (شحيحان) على أنه خبر مقدم، والمبتدأ (كلاهما)، و(ما استطاعا) في موضع الظرف وإسم الزمان محذوف معه. واستطاع منقوص عن استطاع. وتقدير الكلام: كلاهما شحيحان به مااستطاعا عليه، أي ما قدروا عليه، ومعنى (يلبسان المجد)، أي يتمليانه ويمتعان به. وقال: (الطويل)

لَبِـــسْتُ لَهُـــمْ حَتَّـــى تَمَلَّيْـــتُ عَيْـــشَهُ وَيَئِـــسْتُ أعْظَـــامِي وَيَئِـــسْتُ خَالِيَـــا " [4] .

---

(1) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (١٤٣)، (١ / ٤١٧).
(2) نفسه: حماسية (٣٨٦) ، (٢ / ١٠٨٢).
(3) نفسه: حماسية (٧٧٩)، (٢ / ١٧٣٩ ، ١٧٤٠).
(4) نفسه: حماسية (٣٨٦) ، (٢ / ١٠٨٤).

٢ ـ تقديم خبر كان على اسمها:

من ذلك وقال أوس بن حجناء: (الطويل)

إذا المـــــــرءُ أولاكَ الهـــــــوانَ فأوْلِـــــــهِ هوانـــــا وإنْ كانـــــتْ قريبـــــا أواصِـــــرُهْ

لـ " قوله قريبًا خبر كان، وتقدمه على اسمه ولم يؤنثه لأنه أراد النسبة فلم يبنه على الفعل. ومثله قوله تعالى: "إن رحمة الله قريبٌ من المحسنين" " (١).

وقد أفاد هذا التقديم بلاغيا شدة القرب والصلة، فتقدمه ولم يؤنثه لأنه أراد النسبة، واستدل الشارح من الآية الكريمة على ما يؤكد هذا المعنى في النسبة.

٣ ـ تقديم خبر كان عليها:

مثل قول: وقال كعب بن زهير: (الوافر)

فـــــإنْ تَهْبِـــــكَ جُـــــوَىً فِـــــيْ خزيْـــــا فظنُّـــــكَ كَـــــانَ يفعـــــدكَ فوقعـــــدُوها

حيث " خطّب بعد أن أخبر على طريق التسلية، فيقول: إن ذهبت لما دعيت له فإن الذين شنوا نار الحرب بعدك في التقاضي لك كانوا كما ظننتهم، وعند أملك فيهم. فقوله "موقدوها" ارتفع بكان، وكظنك في موضع خبر كان وقد تقدم، والحمالة أعني كان موقدوها بعدك كظنك خبر إن، واسم إن وهو حرباً نكرة غير موصوفة أيضا، وساغ ذلك لما كان المراد بها مفهوماً معلوماً. ويجوز أن يجعل قوله "كظنك كان بعدك موقدوها" من سمة حرثا، ويجعل خبر إن محذوفا، كأنه قال إن حرباً هذه صفتها وقعت. وبيت الأعشى حجة في الوجهين جميعا. وهو: (المتقارب)

إن محـــــــــلاً وإنْ مُـــــــــرتحلاً وإنْ فـــــــي الســـــــفرِ إذْ مضـــــــى مَهـــــــلاً

ألا ترى أن معناه إن لنا محلاً إن لنا مرتحلاً، فحذف الخبر، ومحل ومرتحل نكرتان " (٢)

وتقدم خبر كان عليها لإظهار صدق ظن المخاطب، وتقرير ما تنبأ به حسه، فتقدم لأهميته مع كونه زيادة تثبيت وموعظة.

ثانيا: التقديم والتأخير في الجملة الفعلية:

١ ـ تقديم المفعول به على فعله:

ذكر سيبويه في كتابه أن المفعول به والفاعل يقدمان للاهتمام والعناية (٣)، وقد تقدم المفعول به على فعله في مواضع كثيرة من أشعار الحماسة، وقد تناول الشراح هذه المواضع، وإن سكتوا عن دلالتها البلاغية أحيانا، من ذلك قول الأعرج المعني: (الطويل)

---

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (٢١٨) . (١ / ٦٥٤).
(٢) نفسه حماسية (٣٤٠) . (١ / ٩٧٩).
(٣) سيبويه: الكتاب (١ / ٣٤)

إذا جـــنّ فامتـــدّ حابـــرا مـــشمعلّةً تخيـــبُ الفـــؤادِ رأسُـــها مـــا تقنّـــعُ

فـ (رأسها) مفعول مقدم قال المرزوقي: " هذا بيان الحال ساعة الفزع ... وانتصب "رأسها" لأنه مفعولٌ مقدمٌ " [1].

وقول : وقالت امرأة من بني شيبان: (الوافر)

وقـــالوا ماجـــدًا بـــنكم فتلتـــا فـــذاك الـــرُمحُ يكلـــفُ بـــالكريم

بغـــيرِ أبـــاغ قامـــتنا العنانـــا فكـــان قـــبيلها خيـــرَ القـــبيم

" انتصب ماجدًا على معنى أنه مفعول مقدم " [2]، فأشار المرزوقي إلى موضع التقديم، دون أن يحدد قيمته البلاغية.

وكذلك ما اكتفى به الشارح بالتعقيب على قول آخر: (الراعي) (الطويل)

فـــأغبَيتي مـــن خبّـــرٍ بيْ خبّـــرًا قـــضى غيـــرَ منكـــوبٍ ومنـــصلتٍ انتـــضى

كـــأني وقـــد أنـــبعتهم مـــن ســـنابها خلـــوتُ بخطـــاءَ عـــن فـــؤادي فـــانجلى

فبتنـــا وباتـــت قـــدرنا ذات هـــزّةٍ لنـــا قبـــلَ مـــا فيهـــا ثـــؤورةٌ ومـــصطلى

بالقول " وانتصب منصلته لأنه مفعول مقدم " [3].

٢ ـ تقديم أحد المفعولين على الآخر:

وهو من مذاهب العرب في كلامها [4]، وهو من الأساليب التي تنبه إليها الشراح وأبانوا عن دلالاته البلاغية، كما جاء في تعليق ابن جني على قول البعيث بن حريث الحمي في تقديمه المفعول الثاني في قوله: (الطويل)

وجـــدتُ أباهـــا رئيـــضيها وأمّهـــا فأعطيـــتُ فيهـــا الخَـــسفَ حتّـــى خويّتهـــا

يقول ابن جني: " أراد وجدت أباها وأمها رائضيها ، فقدم المفعول الثاني. وهذا يدل على قوة اتصال المعطوف بالمعطوف عليه. ألا ترى أنه لما قدم الأول منهما صار لقوة اتصال الثاني به كضمه إليه. ونحو هذا قول أبي عثمان في كتابه في الألف واللام: إن ما / عطف بالواو بمنزلة ما جمع في لفظة واحدة " [5].

فأبان عن موضع التقديم، مصرحا بقيمته البلاغية وأهميته في توضيح المعنى.

التقديم والتأخير وعلاقته بالسياق:

تنتظم مفردات النص الشعري وفق سياق مترابط ، يكمل بعضه بعضا، فكل كلمة تستدعي الأخرى، وفق منطق نداء الوُلتب ولُحمتُه التدرُّج. وهذا النوع من التقديم والتأخير ذكره الأقدمون تحت عنوان (ما قدم والمعنى عليه)[6].

---

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (١١٧) ، (١ / ٣٥٠).
(٢) نفسه: حماسية (٢٩١) ، (١ / ٨٨٣).
(٣) نفسه: حماسية (١٣٧) ، (٢ / ١٥٠٤).
(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن (٢ / ١٣٠ ، ١٣١).
(٥) ابن جني: مشكل أبيات الحماسة ، حماسية (٣٨٧) ، ص ٤٢٧.
(٦) انظر: الزركشي: البرهان (٣ / ٣٣٨).

obeikandl.com

وقد تنبه الشراح إلى هذا النوع من أسلوب التقديم للتأخير وأثره على المعنى، فأشاروا إليه، وإلى أصل ترتيب البيت، بعد أن يصدروا شرحهم بتفسير لمعنى البيت، كما جاء في قول وقال عقيل بن علفة: (الوافر)

وأبغض من وضعت إليّ فيه ... بعيناتي مغشيّ غشاهم أثوه

" يقول: إني متعطف على عشيرتي وإن كانوا مسيئين إليّ، متكرم معهم وإن كانوا متحاملين عليّ، فأبغض إنسان أذكره وأتناوله بلساني متنقصاً له، قوم أدفع عنهم في وقتي، وأحامي عليهم في ظاهري أمري. وفي البيت تقديمٌ وتأخيرٌ، وأصل ترتيبه: أبغض من وضعت لساني فيه إلى قومٍ هكذا شأني معهم. وهذا تنبيهٌ على أن الرشاد في المحافظة على حرم ذوي الرحم وإن كانوا مذنبين " (1).

أو يوجهون المعنى وفق ما يقتضيه سياق البيت من تقديم وتأخير، ويرجحون الروايات التي تتوافق مع معناه، كما جاء في قول حران العود النميري: (البسيط)

يوم ارتحلت بزخلي قبل بزدغتي ... والعقل منّي والقلب مشغول
ثم انصرفت إلى بعضوض لأبعثه ... إثر الخدوج الغوادي وهو مخذول

" البزدغة "، كساء يوقى به ظهر البعير من الرحل، ويروى: "والعقل منه "، و" منه "، يكون فاعلا ومفعولا، وهو بالفتح أحب إلي لقوله و" القلب مشغول "، ليكون العقل والقلب مفعولين، كأن رحليها وله هذا وشغل هذا. و" البعير الهزيل. و" الخدوج "، جمع " خدج " وهو مركب من مراكب النساء. و" المعقول "، المشدود بالعقال. كذا روى أبو تمام هذين البيتين، والوجه عندي أن يكون المتمم مؤخرا، والمؤخر متمما. والمعنى على هذا أنه انصرف إلى بعيره لتركبه، ويبعثه إثر أحبته وهو معقول، غفل عن حل عقاله، لما عراه من الهم بفراقهم، ثم قال فعلت هذا " يوم ارتحلت برحلي قبل برذعتي "، فهذا أيضا من همه، ثم انصرف إليه ليبعثه أيضا، وهو معقول، فكيف يرتحل عليه، ثم ينصرف إليه ؟ هذا محال. وقد روي قوم: "ثم اعترضت على عرزى لأبعثه"، وإذا روي كذا صح النظام، و" العرز "، ركاب الرحل، ويكون قوله: " ارتحلت "، أي شددت عليه رحله " (2).

وكثيرا ما يكتفون بالإشارة إلى ما في البيت من تقديم وتأخير، موضحين الصور التي ينبغي أن يكون البيت عليها إذا تم ترتيب البيت وفق ما يقتضيه المعنى، دون بيان قيمته البلاغية، ودلالته المعنوية، كما جاء في قول زويهر بن الحارث بن ضرار: (الطويل)

وكانت علينا عزمنة مثل يومه ... غداة غدت مثل يقاد بها الجمل

يقول الشارح: " تقدير البيت إذا أزيل ما فيه من حجة التقديم والتأخير: وكانت لنا عزمة غداة غدت منا يقاد بها الجمل مثل يومه. والمعنى: كانت مفارقة عرسه لنا غداة انتقالها عنا، وقد حملت الجمال وقيد بها ظعينتها مثل يوم فقده، أي كان ذلك اليوم مثل ذلك اليوم. كأنهم كانوا ألفوا من مقامها أيام عادتها أنسابها، وبقاء دارها على ملكانت تعهد من قبل، فلما رأت من التنقل مارأته، وخلت الديار منها ومن أسبابها وتغيرت، عادت المصيبة على أحيائها جذعاً، والشر مستفحلاً " (3).

---

(1) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة الحماسية (136) ، (1/ 401).
(2) التبريزي، معاني أشعار الحماسة ، 168 ، 169.
(3) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة الحماسية (354) ، (3/ 1020)

وقول آخر: (القلاخ) (الطويل)

فمـا مِـنْ فتًـى منّـا مِـنَ النّـاسِ واحِـدًا ... بِـهِ نَبْتَغِـي مِـنْهُمْ عَبيـدًا نُبادِلُـهُ
لِيَـوْمِ جِفـاظٍ أوْ لِـدَفْعِ كَرِيهَـةٍ ... إذَا غَـصَّ بِالْجَـدْلِ المعَـضَّلِ خابِلُـهُ

" قوله (فما من فتى) بيت فيه تقديم وتأخير، وتلخيصه مبيناً معاداً كل شيء إلى موضعه: مامن فتى من الناس كنا نبتغي به واحداً منهم عبيداً نبادله فعلى هذا قوله (من الناس) من صفة الفتى، وبه يعود الضمير إلى الفتى. والمعنى : كنا بسببه نبتغي واحداً منهم - أي من الناس - عبيداً، من صفة الواحد، لأنا جعلنا واحداً مفعولاً لنبتغي " (١).

سياق التقديم في اللفظ والتأخير في المعنى:

فمن ضروب التقديم في اللفظ والتأخير في المعنى قول بشامة بن حزن: (الكامل)

مِـنْ عَهْـدِ عَـادٍ كَـانَ مَعْرُوفًـا لَنَـا ... أَمْـرُ المُلُـوكِ وَقَتْلُهَـا وَقِتَالُهَـا

قال ابن جني: " وقوله: وقتلها وقتالها، فقدم القتل على القتال لفظا وهو ينوي به التأخير معنى. وذلك لأنه إنما يبدأ بالأدنى ثم يعقب عليه بالأعلى نحو قول الله تعالى: " لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون " (النساء / ١٧٢) غير أن الواو لما كانت غير مرتبة جاز أن تتقدم في لفظها ما هو مؤخر في معناها " (٢).

وكما أشار الشراح إلى المواضع التي تحقق فيها التقديم والتأخير، ويستحب لأغراض بلاغية - أشاروا إلى بعضها، وأهملوا ذكر بعضها الآخر - ، فقد أشاروا كذلك إلى بعض المواضع التي لا يجوز فيها إلا التقديم والتأخير. موضحين سبب ذلك. ومن ذلك ما أشار إليه ابن جني معقبا على قول رجل من بني أسد، وتروى أيضا لابن كناسة: (المنسرح)

أَسْـرَعْتَ مِـنْ يَوْمِـكَ الفِـرَارَ فَمَـا ... جَـاوَزْتَ خَيْـمَ ابْنَةِ بِـكْ الفَـزَرِ

" معناه: أسرعت الفرار من يومك، لكن لا يمكن حمله على هذا الظاهر لامتناع تقديم شيء من الصلة على الموصول. فإذا لم يجز ذلك تقديرا وأرتكه الحال معنا، علقت من بشيء يدل عليه الظاهر، فكأنه لما قال أسرعت، قال: فررت من يومك، ودل الفرار على فررت، وجعل حيث اسما مثل الآية " الله أعلم حيث يجعل رسالته " وقد تقدم نظيره " (٣).

---

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (٣٦٢) ، (٢ / ١٠٣٨).
(٢) ابن جني: مشكل أبيات الحماسة: حماسية (٨٢) ، ص ١٣١.
(٣) نفسه: حماسية (٢٠٨) ، ص ٢٧٩.

obeikandl.com

وهكذا تتبع الشراح أنواع التقديم والتأخير بكافة صوره المختلفة، في أسلوب الشرط [1]، وأسلوب القسم[2]، وشبه الجملة [3]، وأسلوب العطف [4]، وأسلوب الاستثناء [5].

إن هذه النماذج السابقة وغيرها الكثير، قد جاءت - كما يبدو من تفسير الشراح - " ذات وظيفة لغوية إسنادية تساهم في إضاءة جانب من جوانب القول الشعري إذ هي معقودة على بنيته صرفا ومعجما وبلاغة " [6].

فنرى الشراح في تعرضهم لهذا الجانب من جوانب النص الشعري عند شعراء الحماسة يهتمون بتحليل أسلوب التقديم والتأخير من وجهة نظر النحو، دون أن يبنوا أثره الدلالي أو البلاغي إلا قليلا، ولو أنهم التفتوا الى هذا الأثر الفني والبلاغي وأعطوه ما أعطوا الجانب النحوي من الشرح والتفسير، لكانوا قد تركوا لنا خيرا وفيرا.

• • •

(1) انظر على سبيل المثال: المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، حماسية (٦٦٨) ، (١ / ١٢٦)، في قول كثيرة في مية، تقديم جواب لو، حماسية (٦٧٢) ، ص ٦٥٣، (١ / ١٩٦ ؛ ٢٠٠)، في قول امرأة من طيء ، تقديم جواب إن ، ص ٣٢٧ ، ص ٧٦٦، تقديم جواب لما ، ص ٥٢١، تقديم جواب إذا.

(2) انظر على سبيل المثال: المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، حماسية (٥٧٨)، (١ / ٧٤٤)، تقديم جواب القسم، في قول زياد بن حمل وقيل زياد بن منقذ ، تقديم المقسم له على المقسم به، حماسية رقم (٤٧٢)، تقديم المستثنى.

(3) انظر على سبيل المثال: المرزوقي: شرح ديوان الحماسة ، ص ٧٩٠، تقديم الجار والمجرور.

(4) انظر على سبيل المثال. ابن حبي: مشكل أبيات الحماسة ، ص ٢١١ ، ٢١٢ ، تقدم المعطوف على المعطوف عليه.

(5) انظر على سبيل المثال. ابن حبي: مشكل أبيات الحماسة ، ص ٢٣٩، تقديم الاستثناء على المستثنى منه.

(6) د/أحمد الودرني: شرح الشعر عند العرب ، ص ١٠٨.

obeikandl.com

التنكير والتعريف:

يعد التنكير والتعريف من الظواهر البلاغية التي تضفي لونا من الجمال على النص الشعري، وتجعله حافلا بمظاهر التأويل والتقبل لما سيكون عليه المعنى إذا صار نكرة أو إذا جاء معرفة، وما سر تنكير اللفظة أو تعريفها، وهو أمر حمل به ديوان الحماسة، وتنبه إليه الشراح وأوردوا له أغراضا وفوائد ضمنوها شروحهم، كما سيتبين الآن.

أولا: التنكير:

بدأنا بالتنكير؛ لأنه الأصل، يقول ابن الزملكاني (ت ٦٥١ هـ): " قد يظن ظان أن المعرفة أجلى، فهي من النكرة أولى، ويخفى عليه أن الإبهام في مواطن خليق، وأن سلوك الإيضاح ليس بسلوك للطريق. وعلة ذلك أن النكرة ليس لمفردها مقدار مخصوص، بخلاف المعرفة، فإنها لواحد بعينه، وثبت الذهن عنده، ويسكن إليه " [1].

فالتنكير أسبق رتبة من التعريف، وهو على قول ابن الزملكاني أصل والتعريف فرع له، وتنكير الكلمة وتعريفها يخضع عند توظيفها لمحددات السياق النصي داخل البنى التركيبية للنص الشعري.

وقد يكون التنكير للمسند أو المسند إليه، وكل له أغراضه وفوائده، التي تنبه إليها الشراح، وأشاروا إليها في سياق شروحهم للنصوص. فمن فوائد تنكير المسند التي ذكرها الشراح في أشعار الحماسة:

- التنوع:

مثل قول بعض بني أسد: (الكامل)

بَكَـــى علـــى قَتْلَـــى الغَـــدَيْرِ فَـــإِنَّهُمْ ... ظَالَـــتْ إِقَـــامَتُهُمْ بِـــبَطْنِ بُـــرَامِ
كَـــانُوا غِضَـــابَ الأُغْـــدَانِ شُـــمَّ مَخَـــازِلٍ ... وَلِقَـــوْمِهِمْ حَزَمَـــا مَـــعَ الأَحْـــرَامِ

" يخاطب امرأة والنساء كلهن عنده تلك المرأة، فيقول: أكثري البكاء على المقتولين بهذا المكان - وقيل العدان ساحل من سواحل البحر - والمدفونين ببطن برام، فقد طالت إقامتهم. والمراد أن اليأس منهم قد حصل وقوي، وأن غيبتهم اتصلت فرفعت الأطماع من عودهم والاجتماع معهم. ثم أخذ بصفهم فقال: كانوا على المنابذين والمخالفين كنار هذا الملك، لا تبقي ولا تذر - ومحرق هو عمرو بن هند، وكان نذر أن يحرق مائة نفس، ففعل، فضرب المثل بناره - وكانوا لقومهم حرماً من الأحرام ، لا مخافة فيهم ولا هضيمة. يريد أن قومهم يأمنون نزول النوائب بهم في فنائهم، فكانوا كمن حصل في الحرم، وأن أعداءهم كانوا يحترقون بكاباتهم فيهم، فكانوا عليهم كنار هذا الملك .. وقوله حرماً من الأحرام نكره لاختلاف الأحرام. وهي حرم الله تعالى بمكة والشام، وحرم الرسول عليه السلام بالمدينة " [2].

أما عن فوائد تنكير المسند إليه، فهي كثيرة ومتنوعة أشار إليها البلاغيون [3]، ومما ورد منها في أشعار الحماسة، ونبه عليها الشراح:

---

(١) ابن الزملكاني: البرهان الكاشف عن سر الإعجاز، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، دار المأمون، بغداد، ١٩٧٦ م، ص ١٣٦.
(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (٢٨٣)، (١ / ٨٦٥).
(٣) انظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ص ٢٨٦: ٢٩٠.

obeikandi.com

- التنكير للعموم والشمول:

مثل قول بعض بني قيس بن ثعلبة، ويقال إنها لبشامة بن جزء النهشلي: (البسيط)

لَوْ كَانَ فِي الأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَذَغَوْا ... مِنْ فَارِسٍ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا

" يعني بقوله فدعوا أعلنوا الاستغاثة ببأس فلانٍ، ومن فتىً، وما أشبهه. ويقال خلته أخاله خيلاً ومخيلةً وخيلاناً. وهذا مثل قول طرفة: (الطويل)

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتًى خِلْتُ أَنَّنِي ... عُنِيتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ

وكأن زاد هذا عليه بقوله لو كان في الألف منا واحدٌ. لأن ذلك قال: إذا القوم قالوا من فتىً، فنصب نفسه مع قومه؛ وهذا جعله منضماً مع الكثرة إلى الغرباء. وإنما قال: من فارسٍ فنكر، كما قال طرفة: من فتى فنكر. ولم يعرف واحدٌ، مبهماً، لأن السؤال بالمنكر لشدة إبهامه يكون أشمل لتناوله واحداً واحداً لا سيما وليس القصد في الاستفهام إلى معهودٍ معين، ولا إلى الجنس فيقال: من الفتى، ومن الفارس " (١).

- التنكير للتكثير:

كما جاء في قول: سيار بن قصيرٍ الطائي: (الطويل)

وَلاحِقَةِ الآطَالِ أَسْدَفْتُ صَفْقَهَا ... إِلَى صَفِّ أُخْرَى مِنْ عِدًى فَأَشْعَرَتِ

" إنما ذكر قوله عدىً ليبنه به على اختلافهم وكثرتهم، وأن ذلك لتوفر فضائلهم، وتظاهر عزهم ورياستهم، إذ كان الحسد يتبع ذلك، ولأنهم يثرون من لا بذل لهم، ولا يهوى هواهم. يقول: ورب خيلٍ قد لحقت بطونها بظهورها، وارتدعت جنوبها الا متونها، أنا أملت صفها إلى صف خيلٍ مثلها من الأعداء، فحلفت لقتلنا وكثرتهم " (٢).

وفي إطار سعي الشاعر لتحديد دلالة الأسلوب فإنه قد يستعين في سبيل ذلك بالشواهد المختلفة، منها ما اعتادته العرب في الاستخدام، وبما يتصل به من أحوالها، كما في قول قتادة بن مسلمة الحنفي: (الكامل)

مَا كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ أَصَابَ بِنَقْبَةٍ ... دَهْرٌ وَخَيْلٌ يَابِسُونَ صَمِيمُ

" قوله من أصاب نكرة تفيد الكثرة، والمراد أول إنسانٍ أصابه بنكبةٍ دهرٌ. وهذا على عادتهم في نسبة الحوادث إلى الدهر، كما قال بعضهم: (الكامل)

يَا دَهْرُ قَدْ أَكْثَرْتَ فَجْعَتَنَا ... بِمَنِ ارْتَبَنَا وَفَجَعْتَ فِي الْخَطْمِ

فأما تنكيره للدهر فقد حكي عن أبي زيد وأبي عبيدة ويونس أن الدهر والزمان والزمن والحين، يقع على محدودٍ وغير محدود، وعلى عمر الدنيا من أوله إلى آخره. وقال الخليل: الأبد الدهر الممدود، ويجعل اسماً للنازلة. ويقال: دهرٌ من الدهر، لبعضه، كما يقال حينٌ من الدهر. وقد اشتق منه فقيل: إنها لداهرة الطول، أي طويلةٌ جداً. والشاعر أراد بما قاله التجلد للشامت والتسلي من المصاب، وأن يظهر لمن ألقى السمع جهل امرأته وعدولها عن الصواب. وقوله وحيٌ ياسلون صميم. فاليسول: عبوسة الشجاعة والغضب. ويقال بسل واستسل. والصميم: خالصة

---

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (١٤)، (١ / ١٠٧ ، ١٠٨).
(٢) نفسه: حماسية (٣٠)، (١ / ١٦٤).

الشيء وما به قوامه؛ ومنه قيل صميم الصيف والشتاء. ويقال للرجل: هو من صميم قومه، أي من محض أصلهم. ويوصف بالصميم الواحد والجميع " (١).

- التنكير للنوعية:

مثل قول عويف القوافي: (الكامل)

ذَهَبَ الرُّقَادُ فَمَا يَخِفُّ رُقَادُ ... مِمَّا شَجَاكَ وَنَامَتِ الغُوَّادُ

" يقول: طار النوم فلا يعرف له أثرٌ، مما دهاك وحربك، ونام الذين كانوا يعودونك ولم يسهروا لك. والمعنى: إني اختصصت فيك بما عرى منه عوادك، وتحملت من الحزع ما سقط عنهم وخف عليهم. والرقاد والرقود: النوم بالليل، وعرف الأول تعريف الجنس، ونكر الثاني لأنه أراد نوعاً من الجنس، كأن المراد: ذهب النوم على اختلافه حتى ما يرى لنوع منه مختص أثرٌ " (٢).

وقول البعيث بن حريث: (الطويل)

خَيَالٌ لأُمِّ المُنْذِرِ المُتَبَلِّلِ وَدُونَهَا ... مَسِيرَةُ شَهْرٍ لِلْيَزِيدِيِّ المُذَنَّبِ

" فإن قيل: لم نكر فقال خيالٌ لأم المتبلل؟ قلت: يجوز أن يكون كان يرى خيالها على هيئاتٍ مختلفة، فاعتقد لاختلاف هيئته أنه عدة خيال، فلذلك نكره، كأنه قصد إلى واحد منها، ومثله: (أمية بن أبي عائذ) (المتقارب)

خَيَالٌ لِزَيْنَبَ قَدْ فَاجَ لِي ... نُكَامَتُهَا مِنْ الحُبِّ يَقْدَ الفُصَالِ " (٣).

- التنكير للتعظيم:

كقول هلال بن رزين: (الوافر)

وَأَيْقَنَتِ الكَتَائِبُ مِنْ جَنَابٍ ... وَعَامِرٍ أَنَّ مَنْصُورَيْنِ نَصْرُ

" يقول: وتيقنت جنابٌ وعامرٌ بطون بني كلبٍ أنه سيذب عنها نصيرٌ ظهيرٌ، ومعينٌ قويٌ. ويعني بالنصير بني التيم. وجعل اللفظ نكرة ليكون أبلغ في تعظيم النصرة، لأنه أراد نصيرٌ من النصار، أي كاملٌ في معناه " (٤).

- التنكير للإفراد أفاد مفيده التخصيص:

مثل قول أعشى ربيعة: (الطويل)

فَإِنْ فَوَادَا بَيْنَ جَنْبَيَّ عَالِمٌ ... بِمَا أَبْصَرَتْ عَيْنِي وَمَا سَمِعَتْ أُذُنِي

وَفَضَّلَنِي فِي الشُّعْرِ وَالنَّسَبِ ابْنُهَا ... أَقُولُ عَلَى عِلْمٍ وَأَعْرِفُ مَنْ أَعْنِي

وَأَصْبَحْتُ إِذْ فَضَّلْتُ مَرْوَانَ وَابْنَهُ ... عَلَى النَّاسِ قَدْ فَضَّلْتُ خَيْرَ أَبٍ وَابْنِ

---

(١) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة: حماسية (٢٥٨)، (١ / ٧٦٦ ، ٧٦٧).
(٢) نفسه: حماسية (٧٢)، (١ / ٢٦٢ ، ٢٦٣).
(٣) نفسه: حماسية (١٣٠)، (١ / ٣٧٦ ، ٣٧٧).
(٤) نفسه: حماسية (١١٤)، (١ / ٣٤١).

obeikandl.com

" يقول: إني اكتسبت من مشاهداتي والأخبار الواقعة إلي، الصادقة في مواردها، المتواترة على ألسن حملتها ما صار قلبي به عالما ومتميزا، فلا يلتبس على وجوه الحق وحدوده، ولا صنوف الصدق وفنونه، فإذا قلت الشعر فنته على علم بمرافقه وأساليبه، ومعرفة المقول فيه ومستحقه، فلا أكذب في الأخبار ولا أتزيد في الأوصاف، ولكن أعطي كل منعوت حقه من القول والوصف، وأتسم لكل منوه به قسطه من التقريظ والمدح، فمن أجل ذلك أصبحت إذ فضلت مروان وابنه عبد الملك على الناس قد فضلت خير والد وولده، فلا يقل كذب أو أخطأ، أو اشتبه عليه أو شبه له، فلم يأت بالحق، ولم يقتصر على الصدق.وقوله " وإن فؤادا " جعله نكرة لأنه باتصال قوله " بين جنبي " به اختص، حتى علم أنه قلبه من بين القلوب " (١).

وقد يصل الشاعر في تنكيره إلى درجة التعريض ، خاصة إذا كان المراد مفهوما عند من عرف القصة، مثل قول شاعر الحماسة: (الطويل)

فَلَوْ أَنَّ حَيًّا يَفْتَدِي الْحَيَّ فِدْيَةً ... لَسَمَّقْنَا لَكُمْ مِنَّا نَفِيلاً مِنَ الْحَيِّ مِلْفَعَا

قد "نكر قوله حيًا وهو يقصد به قصد حي بعينه،لأن المراد كان مفهومًا عند من عرف القصة،فجعله كالتعريض"(٢).

ولتنكير مواضع لا يحسن القول إلا بها، وكذلك التعريف، إلا أنه قد يحدث بينهما تبادل في المواضع، فيأتي التعريف في موضع التنكير على غير قياس، أو العكس، فمما جاء في موضع التنكير، ولكنه جاء معرفا على غير قياس، قول مساور بن هند بن قيس بن زهير: (الكامل)

وَتَشَغَّبُوا شَغَبًا فَقُتِلَ قَتِيلُهُمْ ... فِيهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنْبَرُ

" هذا موضع التنكير لا التعريف، وكان قياسه فيها أمير مؤمنين، ألا تراه نكر ما بعده فقال ومنبر على التنكير الذي أومأنا إليه. قال ابن همام: (الوافر)

فَلَوْ جَمَعُوا بِبَصْرَةَ أَوْ بِهِنْدٍ ... لَبَايَعَهَا أَمِيرَةُ مُؤْمِنِينَا

إلا أن وجه التعريف الذي في البيت أنه حكى ما يستعمل في الكلام، فكأنه قال: فكل جزيرة فيها رجل يقال له أمير المؤمنين. وذلك أن العرف والعادة بهذا اللفظ جرت. ولذلك عندي ساغ لعبد الله بن همام أن ينكر فيقول: أميرة مؤمنينا، وذلك أنه لم يعتد أن يقال أميرة المؤمنين وإنما المألوف من هذا تذكير هذه اللفظة، فلما لم يعتد أميرة المؤمنين، وأراد في البيت التذكير البتة، جاء به منكر اتباعا على تذكير المعنى عنده، ولم يعتده مألوف عرف فيتبعه، وهذا جلي " (٣).

وما أنشده أبو عبيدة لأبي الغطمش الحنفي ويروى المعطش: (المتقارب)

وَمَنَّانِي مُخْلِفَاتِهَا حَمَشَةٌ ... كَمَنَّانِي الْجَزَرَاةِ أَوْ أَغْمَشِ

" كان قياسه التنكير، أي مخلفاتها أحمش، لأن المخلفات نكر، لكنه جاز ذلك لما كان المخلفات بعض الساق، وجرى مجرى قوله: (الطويل)

كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ

---

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (٧٩٢)، (٢ / ١٧٧٧).
(٢) نفسه: حماسية (٥١)، (١ / ٢١٦).
(٣) ابن جني: منكل أبيات الحماسة، حماسية (٩٥)، ص ١٤٥.

وذلك أن بعض الشيء وقع عليه اسم جميعه، ألا ترى أنك لو رقمت صدر القناة لقلت رقمت القناة، وكذلك لو ضربت بعض زيد لقلت قد ضربت زيدا، وكيف ليت شعري يقال: ضربت زيدا إلا على هذا. أتراه يضرب جميعه ظاهره وباطنه، وجميع جهاته وأنحائه، وهذا محال. فلما شاع هذا واتسع حتى صار مجازه أكثر من حقيقته حسن منهم أن يسموا البعض باسم الكل، فلذلك لو ضربت مخلفل الساق لساغ ذلك أن تقول: ضربت الساق. فلذلك أنث، وهذا فاش فاعرفه " (١).

ومما كان محصوله محصول المعرفة، ولكنه أخرج مخرج النكرة، قول أعشى ربيعة: (الطويل)

نَبِّ فُـــؤادًا بَـــيْنَ جَنْبَـــيَّ غَـــالِبَ بِمَـا أَبْـصَرَتْ عَيْنِـي وَمَـا سَـبِغَتْ أُذُنِـي

" أخرجه مخرج النكرة على أن محصوله محصول المعرفة. ألا ترى أنه لا يعني من الأفئدة إلا فؤاده. ولهذا تظاقر منها قولك: زيد حسن وجها وكريم أبا، وأنت لا تعني من الوجوه إلا وجهه، ولا من الآباء إلا أباه. وقد ذكرنا ما يجتمع مع الفؤاد بالاشتقاق، وهو قولهم: المفتأد لموضع الطبيخ والشواء ونحوهما " (٢).

وقد يحتمل البيت تنكير اللفظة وتعريفها على السواء، إلا أنه على التنكير ألطف وأحسن، كقول شاعر الحماسة: (الطويل)

فَأَوْمَـــتْ بِي خَمْـــذَا فَأَوْمَـــأْتُ قِـــرْدَى وَأَرْجَـــصَ بِخَمْـــدٍ كَـــانَ كَاسِـــبَهُ أَكُـــلْ

" جعل اسم كان نكرة، وخبرها معرفة، وهذا من حيز الضرورة - وشواهد ذلك كثيرة، فتطرح ذكرها لشهرتها. ومن رواه الأكل فأمره واضح، والتنكير هنا ألطف معنى وأحسن. و ذلك أنه موضع استرخاص. وإذا أنكر الأكل كان أحقر له، وإذا كان كذلك كان أبلغ في الاسترخاص من أن يعرف لفظ الأكل فيصير له بذلك حجم، فيكاد لا يكون الحمد به رخيصا كما يكون إذا كان منكورا، فتفطن له " (٣).

ثانيا: التعريف:

" المعرفة ما دل على شيء بعينه ... ويدخل التعريف على المسند إليه لأن الأصل فيه أن يكون معرفة لأنه المحكوم عليه، والحكم على المجهول لا يفيد، ولذلك فإنه يعرف لتكون الفائدة أتم، لأن احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد كانت الفائدة في الإعلام به أقوى، ومتى كان أقرب كانت أضعف " (٤).

أما عن أقسامها، فتكون على شكل المضمر (الإضمار)، العلم، اسم الإشارة، الاسم الموصول، المعرف بالألف واللام، المضاف إلى واحد منهما إضافة معنوية، المنادى. ويمكن تتبع أقسامها وأشكالها في أشعار الحماسة، وفق ما يلي:

١ - المضمر (الإضمار):

- في مقام التكلم " ضمير المتكلم ": مثل قول بعض بني قيس بن ثعلبة، ويقال إنها ليشامة بن جزء النهشلي: (البسيط)

---

(١) ابن جني: مشكل أبيات الحماسة، حماسية (٤١٢)، ص ٤٤٦، ٤٤٧.
(٢) نفسه: حماسية (٣٨٤)، ص ٤٢٣.
(٣) نفسه: حماسية (٣٣٥)، ص ٣٨٣.
(٤) د/أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، (٢ / ٢٨٢).

إنَّـــا مُحَيُّـــوكِ يَـــا سَـــلْمَى فَحَيِّنَـــا ... وَإِنْ سَـــقَيْتِ كِـــرَامَ النَّـــاسِ فَاسْـــقِينَا

" يقول: إنا مسلمون عليك أيتها المرأة فقابلينا بمثله، وإن خدمت الكرام وسقيتهم فأجرينا محراهم فإنا منهم .. وقول في سقيت إن معناه: إن دعوت لأمثال الناس بالسقيا فادعي لنا أيضاً .. وعلى هذا يكون في الكلام إضمار، كأنه قال: وإن سقيت بظهر الغيب الكرام بالدعاء عند ذكرهم فافعلي بنا مثله، وقولي سقاكم الله " (١).

- في مقام الخطاب: " ضمير المخاطب ": مثل قول أمامة: (الطويل)

وَأَنْـــتِ الَّـــذِي أَخْلَفْتِنِـــي مَـــا وَعَـــدْتَنِي ... وَأَنْـــتِ بِـــي مَـــنْ كَـــانَ لِلْخَيْـــرِ يَلْـــوُمُ
وَأَبْرَزْتِنِـــي لِلنَّـــاسِ ثُـــمَّ تَرَكْتَنِـــي ... لَهُـــمْ غَرَضًـــا أَرْمِـــي وَأَنْـــتِ سَـــلِيمُ
فَلَـــوْ أَنَّ قَـــوْلاً يَكْلِـــمُ الجِســـمَ قَـــدْ بَـــدَا ... بِجِـــسْمِي مِـــنْ قَـــوْلِ الوُشَـــاةِ كُلُـــومُ

حيث يشيع في الأبيات ضمير المخاطب بنوعيه المتصل والمنفصل، بل ويتكرر في أكثر من موضع (أنت، أنت)، وانظر إلى أقوالها (أخلفتني، وعدتني، أشمت بي، فيك أبرزتني، تركتني)، فيها توجه بالخطاب إلى الآخر على سبيل التبرير وتحمل الأعذار لما ارتكبته الشاعرة في حقه من جريرة ثقيلة، تملك لها ردّاه إذ " أخذت تقابله بمثل الذي ابتدأها، وتعدد من جناياته عليها كفاه ما عنده وعصب به رأسها، فقالت: إن ما ارتكبته مني أشنع، وما حملته وقتاً بعد وقت أفظع، لأنك الذي نكثت عهودي، ونقضت مواعيدي، وأشمت بي كل ناصح فيك، وصدقت مثل كل لائم بسببك، فظنوني بك مكذبة، وظنون النصاح واللوام مصدقة؛ ثم جعلتني مضغة في أفواه الناس، وأكلة لمجامعهم، يتطاولون بحديثي، ويتعللون عند أعدائي بقصتي، فقد صرت كالغرض المنصوب لكل قدح مبري، والعلم المقصود لكل مشاء بنميم، يفرى بي من كان لي سلماً، ويرق لي من آل لي حرباً، وأنت سليم من المكاره، بعيد عن المتاعب، تعرك بجنبك ما يمسني، وتتقي بقلة الاكتراث ما ينضجني؛ لأن نار الوشاية اعتمادها بالإحراق في النساء أبلغ منه في الرجال، وعار الشناعة ألصق بجوانبهن منه بجوانب أمثالك، فلو أن كلاماً كلم جسماً لبدت بجسمي ندوب ومنافذ وجروح بأنياب المغتابين، ونبال الرماة المراصدين " (٢).

- في مقام الغيبة: " ضمير الغائب ": مثل قول: وقالت امرأة من طيء: (الطويل)

فَلَهْفِـــي عَلَيْـــكَ ابْـــنَ الأَشَـــدِّ لِبُهْنَـــةٍ ... أَفَـــزَّ الفُتَـــاةَ ظَهْرُهَـــا وَضَـــرَائِبُهَا
مَتَـــى يَدْعُـــهُ الـــدَّاعِي إِلَيْـــهِ فَإِنَّـــهُ ... مُـــطِيعٌ إِذَا الأَذَانُ صَـــمَّ جَوَابُهَـــا
هُـــوَ الأَبْـــيَضُ الوَضَّـــاحُ لَـــوْ رُمِيَـــتْ بِـــهِ ... ضَـــوَاحِ مِـــنَ الرَّيَّـــانِ زَالَـــتْ هِـــضَابُهَا

فكررت الضمير " هو "، في قولها " (هو الابيض الوضاح) تريد خلوص النسب وزكاء المنصب، واشتهار الذكر في الأفق. وقولها (لورميت به ضواح) تريد نقائه وحسن خروجه مما يدخل فيه وشدة صدمته للأمور، ولجاجه في إبرامها. فيقول: لو رميت بوارز هذا الجبل به لزعزعها، وهد جوانبها " (٣).

---

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة حماسية (١٤)، (١ / ١٠٠).
(٢) نفسه: حماسية (٥٧٠)، (٢ / ١٣٨١).
(٣) نفسه حماسية (٣٩٤)، (١ / ١٠١٤).

obeikandl.com

٢ ـ العلمية:

ـ للتعظيم: مثل قول المتوكل الليثي: (الطويل)

صَدَدْتُ سَعِيدًا وَاصْطَفَيْتُ ابْنَ خَالِدٍ ... وَلِلْخَيْرِ أَسْبَابٌ بِهِمَا يَتَوَسَّمُ
فَأَنْتُ فَمُجْتَثُّ بِمَخْفَارِهِ الثَّرَى ... فَضَافَتْ عَيْنَ الْمَاءِ إِذْ يَتَزَمْزَمُ

وهو ما عبر عنه الشارح بقوله: " يقول: اخترت من بين الناس ابن خالد وفرطت في شعري سعيدا، وللخير حدود ووجوه بها يتبين رسمه وعلامته، فكنت في اصطفائي إياهما، وصرفي ثنائي إليهما، كرجل يتطلب الماء بمخفاره من ثرى الأرض، فضاقت عينه ومنبعه، إذ تتبع أثره ورسمه. والمعنى: أصبت في القصد والاختيار، ووضعت الثناء موضعه من الإيثار، فسبق الخير إلي من مطلبي، وحصل التوفر علي من مقصدي " [١].

٣ ـ الموصولية:

ـ زيادة التوضيح والتقرير، مثل قول الحطيئة من بني شقرة بن كعب بن ثعلة: (الطويل)

أَلَا زَيْدَ مَنْ يَغْتَابُنِي وَدَّ أَنَّنِي ... أَبُوهُ الَّذِي يَدْعَى إِلَيْهِ وَيُنْسَبُ
عَلَى رِشْدَةٍ مِنْ أُمِّهِ أَوْ لِغَيْرَةٍ ... فَيَقْبَلَهَا فَضْلَ الثَّمَنِ فَيُجْلَبُ

حيث استخدم الشاعر الاسم الموصول " الذي " ليفسر معنى الكلمة السابقة عليه، وهي " أبوه "، موضحا المقصود منها، وهي تعني أبوة النسب والعصب، بل إنه يود الأبوة على أي صورة كانت حلالا أم حراما، وهو ما يزداد وضوحا فيما بعده من قول، فـ " قوله (من يغتابني) من ذكرة ويغتابني في موضع الصفة له، و(ود أنني) جواب رب. فيقول: رب إنسان يأكل لحمي بظهر الغيب وينتقصني، ومع ذلك يتمنى أن أكون أباه الذي ينسب إليه، وإنما يبعثه على ذلك الحسد والبغضاء . وقوله (على رشدة من أمه أو لغية) فإن على ما يتعلق بقوله أنني أبوه، كأنه يريد: ود أبوتي سواء كان ولد حلال أو حرام " [٢].

ـ العتاب:

فقد يأتي الاسم الموصول في سياق العتاب بين المتحابين، على سبيل التنبيه، مثل ما نجد في قول ابن الدمينة وقد كتب بها إلى أمامة: (الطويل)

وَأَنْتِ الَّتِي كَلَّفْتِنِي بَثَّ الْهَوَى ... وَجُنُونَ الْهَطَا بِالْجَلْهَتَيْنِ جُثُومُ
وَأَنْتِ الَّتِي طَوَّفْتِ قَلْبِي خَزَازَةً ... وَقَرْقَفْتِ قُرْحَ الْقَلْبِ وَهْوَ قَلِيمُ
وَأَنْتِ الَّتِي أَخْلَفْتِ قَوْمِي فَكُلُّهُمْ ... يَعِدُّ الرِّضَا دَأْبِي الصُّدُودَ فَتَلِيمُ [٣].

فأجابته أمامة: (الكامل)

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَقْتَنِي مَا وَصَلْتَنِي ... وَأَشَمْتَ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي ... لَهُمْ غَرَضًا أَرْمِي وَأَنْتَ سَلِيمُ
فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا يَكْلِمُ الْجِسْمَ قَدْ بَدَا ... بِجِسْمِي مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ كُلُومُ [٤].

---

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (٧٩٩)، (٢ / ١٧٧٩).
(٢) نفسه: حماسية (٣٦٠)، (٢ / ١٠٣٤).
(٣) نفسه: حماسية (٦٦٩)، (٢ / ١٣٢٩).
(٤) نفسه: حماسية (٥٧٠)، (٢ / ١٣٨١).

obeikandl.com

٤ ـ الإشارة:

ويؤتى بالمسند إليه اسم إشارة لأحد أمور، وذلك:

ـ للتنبيه: مثل قول متمم بن نويرة يرثي مالكًا أخاه: (الطويل)

لقد لامني عند القبور على البكا ... رفيقي لتذراف الدموع السوافك
فقال أتبكي كل قبر رأيته ... لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له إن الشجا يبعث الشجا ... فدعني فهذا كلنا قبر مالك

" يقول: استسرف رفيقي بكائي عند القبور، واستفظع سيلان الدموع من عيني فقال موبخًا: أمن أجل قبر لك بين اللوى فالدوانك تبكي عند كل قبر تراه؟ فأجبته بأن الحزن يهيج الحزن فاتركني، فكل قبر أنتهي إليه يذكرني قبر مالك، إذ ليس لي في قبر مالك إلا مثل مالي في القبور كلها. يريد أن أسباب الحزن ومهيجاته تتشابه، فكلٌ منها يقوم مقام الآخر ولا سيما وقد توافقت في الجنسية. وقوله لتذراف الدموع السوافك أي من أجله، بعد قوله على البكاء فيه من الفائدة المتجددة التنبيه، على إجابة الدموع له، وانصبابها بحسب مراده، حتى لا جمود من الحجاج في شيء من الأوقات، ولا توقف من السيلان في حال من الحالات، وليس كل باكٍ بهذه الصفة " (١).

ـ بقصد تمييز المسند إليه لإحضاره في ذهن السامع حسا: مثل قول الشنفري: (الطويل)

هنالك لا أرجو حياة تسرني ... سجيس الليالي مبسلاً بالجرائر

أشار بقوله " هنالك " الى الوقت الذي يتناهى فيه الأمد، وينقو فيه الأجل، لا إلى الوقت الآني بعد القتل، وهو ظرف لما أرجو. والمعنى: في ذلك الوقت لا أطمع في حياة سارة لي. وأنا مخذول مسلم بجرائري في القبائل، لا يرى إلا شامتًا بي، أو طالبًا للانتقام مني. وقوله " سجيس الليالي " يراد به امتداده وسلاسته في الاتصال وهو اسم الفاعل من سجس. وقد أحكمنا القول فيه في كتابنا الأزمنة. وهو ظرف لقوله مبسلاً بالجرائر. وانتصب مبسلاً على الحال. والجرائر: جمع الجريرة. وأبسلوا: أسلموا. وفي القرآن "أولئك الذين أسلموا بما كسبوا" (الأنعام / ٧٠) "(٢).

وقول شقران مولى سلامان: (الطويل)

أولئك قومي بارك الله فيهم ... على كل ما أعقب وأكرما
يقال الجفان والخيول رخاهم ... زحى الغاء يكثالون كيلاً غثمثما
جفاة المخز لا يصيبون مفصلاً ... ولا يأكلون اللحم إلا تفدما

" أشار بقوله أولئك قومي إلى قضاعة، ثم أخبر عنهم بأنهم كثروا وطابوا ونموا بما جعل الله من البركة فيهم، فازدادوا " (٣).

---

(١) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، حماسية (٢٦٥)، (١ / ٢٩٣ ، ١٩٨).
(٢) نفسه، حماسية (١٦٤)، (١ / ٤٩٠).
(٣) نفسه، حماسية (٦٩٠)، (٢ / ١٠٣٢).

obeikandl.com

٥ ـ التعريف بالألف واللام:

وهي على نوعين. " أل " العهدية هي التي تدخل على النكرة فتفيدها درجة من التعريف تجعل مدلولها فردا معينا بعد أن كان مبهما شائعا " [١]، والتي تنقسم بدورها عهد ذكري، عهد علمي أو ذهني، عهد حضوري [٢].

و" أل " الجنسية، وهي على أنواع:

١ ـ منها التي تدخل على واحد من الجنس فتجعله يفيد الشمول والإحاطة بجميع أفراده احاطة حقيقية؛ لا مجاز فيها ولا مبالغة. بحيث يصح أن يحل محلها لفظة " كل " فلا يتغير المعنى، مثل: الدهر عنب .....

٢ ـ منها التي تدخل على واحد من الجنس فتجعله يفيد الشمول والإحاطة لا بجميع الأفراد، ولكن بصفة واحدة من الصفات الشائعة بين تلك الأفراد، وذلك على سبيل المجاز والمبالغة؛ لا على سبيل الحقيقة الواقعة؛ مثل: أنت الرجل علما .....

٣ ـ ومنها التي لا تفيد نوعا من من نوعي الإحاطة والشمول السابقين؛ وإنما تفيد أن الجنس يراد منه حقيقته القائمة في الذهن، وماهيته التي تكون منها في العقل دون نظر الى ما ينطبق عليه من أفراد قليلة أو كثيرة، ومن غير اعتبار لعددها، أو لصفة عرضية طارئة عليها. وقد يكون بين تلك الأفراد ما لا يصدق عليه الحكم .. مثل: الحنيد أصلب من الذهب ..... [٣].

ومن شواهد " أل " الجنسية، والتي اشار إليها الشراح، وورد ذكرها في شروحهم، قول عويف القوافي الفزاري: (الكامل)

ذهب الرُّقادُ فما يُحسُّ رُقادُ ... مما شجاك ونامت الغوّادُ

" المراد بلام التعريف في الرقاد تعريف الجنس، ورقاد الثاني بعدها للجنس أيضا لا لنوع منه بدلالة ما تقدم عليه، ألا ترى أنه إذا نفى جنس الرقاد في الأول علم أن رقادا النكرة بعده لا يراد به البعض والأصغر المعنى، ويؤكد ذلك أيضا أن هذا من مواضع من"، ألا ترى أنه لو قال ذهب الرقاد فما يُحس من رقاد، لكان المراد به ما أريد بقوله فما يحس رقادٌ " [٤].

وقول بعض بني فقعس: (مرداس بن حشيش) (الكامل)

ثاسوا بِهِمْ بقضاءهُمْ وتزينُهم ... وهُمُ إذا تكيز الصديقُ أعادِ

" يقول: رب قوم هكذا أنا نسبت بفضلهم لي حتى نسوا أيضاً ـ لأن العناسة تكون من اثنين فصاعداً ـ وتركتهم وهم من جملة الأعداء، إذا ميزت بالذكر الأصدقاء. وقوله " الصديق " أراد به الجنس " [٥].

---

(١) انظر: د/عباس حسن: النحو الوافي (١ / ٤٢٣).
(٢) انظر: نفسه: (١ / ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥).
(٣) انظر: نفسه: (١ / ٤٢٦).
(٤) ابن جني: مشكل أبيات الحماسة، حماسية (٥٠)، ص ٩٩.
(٥) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (٥٧)، (١ / ٢٣٠).

وقول عويف القوافي: (الكامل)

ذهب الرُّقادُ فما يُخَمِّرُ رَقْدَهُ ... مِمَّا شَجاكَ ونامَتِ الغُوّادُ

" يقول طار النوم فلا يعرف له أثرٌ، مما دهاك وحزبك، ونام الذين كانوا يعودونك ولم يسهروا لك. والمعنى: إني اختصصت دونك بما عرى منه عوادك، وتحملت من الجزع ما سقط عنهم وخف عليهم. والرقاد والرقود: النوم بالليل، وعرف الأول تعريف الجنس، ونكر الثاني لأنه أراد نوعاً من الجنس، كأن المراد: ذهب النوم على اختلافه حتى ما يرى لنوع منه مختص أثرٌ " (١).

وقد يتساوى تعريف الاسم و تنكيره في الدلالة، مثل ما جاء في قول ابن عنين الأندي: (الكامل)

بيتٌ هُمُ بالظَّهْرِ قُمَّةُ جِلَّقٍ ... ونُمُوا بخيمٍ يَنْزِعُ الأُنْبُجُ

فإذا ابنُ بِشْرٍ في مواكبِهِ ... تَهْوَى به خَطَّارَةٌ مِمْرَحُ

فكأنَّما نظروا إلى قَمَرٍ ... أو حيثُ عَلَّقَ قَوْسَهُ قُزَحُ

" يقول. بين أوقات الناس حالتين مهذا المكان، حيث يقلع هذا البيت، إذا ابن بشر وخلفه مواكبه، ترع به نجيبة هكذا، فكأنما نظروا إلى قمر، أي لما اجتاز بهم شبهوه في إشراقه ونوره، وبهاء موكبه، بالقمر، أو نظروا إلى حيث يتراءى للناظرين قوس قزح. فقوله " أو حيث " يجوز أن يكون معطوفاً على قمر، فيكون المعنى نظروا إلى قمر أبي مكان قوس قزح. ونكر قمرا لأن فائدة المعرفة والنكرة إذا وقع في مثل هذا المكان لا تتغير. ويجوز أن يكون " حيث " في موضع الطرف، كأنه قال نظروا إلى القمر، أو نظروا حيث علق قوس قزح " (٢).

٦ ـ المضاف إلى واحد منهما إضافة معنوية:

وهو ما يعرف بالتعريف بالإضافة، ويكون لأسباب وأغراض مختلفة، تعرض الشراح لكثير منها، أهمها:

ـ التحقير: مثل قول آخر: (جميل) (الطويل)

أبُوكَ خُبَابَةُ سَارِقُ الضَّيْفِ بُرْدَهُ ... وجَدِّيَ يَا كَحْلاءُ فَارِسُ شَمْلَلِ

" يقول: أبوك الذي سرق برد ضيفه وغدر به وخانه، وجدي فارس هذا الفرس المعروف. وسارق الضيف برده، أصله سارق برد الضيف، لكنه أضافه إلى الضيف بناء على قولهم سرقت الضيف برده، والمراد سرقت من الضيف، لكنه لما حذف الجار تخفيفاً وصل الفعل فعمل فيه، ثم أضاف اسم الفاعل إليه " (٣).

وقول أبو ثمامة: (المتقارب)

فَجَازِكَ عِنْدَ بَيْتِكَ لَحْمَ ظَبْيٍ ... وَجَارِي عِنْدَ بَيْتِي لا يُرَامُ

ففي " إضافة اللحم إلى الظبي في نهاية الموافقة للمعنى الذي يقصده، والغرض الذي كان يرميه. وقد جاء اللحم غير مضاف إلى اسم الصيد في الكناية عن القتل والاهتضام " (٤).

---

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (٧٢)، (١ / ٢٦٢ ، ٢٦٣).
(٢) نفسه: حماسية (٨٠٢)، (٢ / ١٧٨٣ ، ١٧٨٤).
(٣) نفسه: حماسية (١٠٢)، (١ / ٣١٥).
(٤) نفسه: حماسية (١٨٨)، (١ / ٥٨١).

obeikandl.com

وقول القتال الكلابي: (الطويل)

إذا جـــاع لـــم يَفْـــزَخ بأكْلَـــةِ منـــاعةٍ ولـــم يَتَّـــبِعْ مِـــنْ فَقْـــدِها وهْـــوَ منـــاعِبُ

حيث " أضاف الأكلة إلى ساعةٍ تقصيراً بها وإزراءً، وإن كان ذلك وقتاً لها "[1].

وقول عارق الطائي: (الطويل)

فَـــيَّ بْـــمناءَ غَيْـــرَ مـــا قَـــالَ قائِـــلٌ غَبِيطَـــةُ منـــوءٍ ومنـــطِقُ مِهارِقَـــة
ولَـــوْ نِيـــلَ فِـــي عهْـــدٍ لَنَـــا لَحْـــمُ أرْنَـــبٍ وَفِيْنَـــا وهَـــذا العَهْـــدُ أنْـــتَ مُغالِقَـــة
أكُـــلُّ خَبِـــيسٍ أخْطَـــأ الغُـــنْمَ مـــرَّةً وَضـــادَفَ خَيْـــراً دائِنُـــا هُـــوَ سَـــائِفَة

نجد " إضافة الغنيمة إلى السوء يكون على طريق الإزراء والاستحقار "[2].

- للتهويل: مثل قول شاعر الحماسة: (الطويل)

أبَـــوْا أنْ يُبِيحُـــوا جَـــارَهُم لِعَـــدُوِّهِمْ وَقَـــدْ شَـــارَ نَقْـــعُ المَـــوْتِ حَتَّـــى تَقَـــوَّرَا

" إنما أضاف النقع إلى الموت تهويلاً "[3].

- للتعظيم: وقول ابن المقنع يرثي يحيى بن زياد: (الطويل)

رُزِئْنَـــا أبَـــا عَمْـــرٍو وَلاَ خَـــيْرَ مِثْلَـــهُ فَلِلَّـــهِ رَيْـــبُ الحَادِثَـــاتِ بِمَـــنْ وَقَـــعْ

" قوله لله ريب الحادثات كلام مستقلّ بنفسه فيما يفيد من إكبار الشأن وتعظيم الحال. وإضافة الشيء إلى الله عز وجل تفخيمٌ وتعظيم، على ذلك قولهم: بيت الله - وإن كان الساجد لله - ولله دره "[4].

وقول الهذلول بن كعب العنبري: حين رأته امرأته يطعن للأضياف، فقالت: أهذا بعلي ؟! (الطويل)

لَعَمْـــرُ أبِيـــكِ الخَيْـــرِ إنِّـــي لَخَـــادِمٌ لِـــضَيْفِي وَإنِّـــي إنْ رَكِبْـــتُ لَفَـــارِسُ

" قوله لعمر أبيك استعطفت لها، إذ أقسم بحياة أبيها لما جرى في العادة من إعظام المقسم به؛ وإكبار موقعه. والعَمْر والعُمْر لغتان، ولا يستعمل في القسم إلا بفتح العين. وإضافة الأب إلى الخير، كما يقال هو فتى صدقٍ، وهو رجل كرم. وقوله إني لخادمٌ لضيفي اعترافٌ بما عنته ذنباً وبيان أن التبجح فيما أنكرته، وأن التوفر على الضيف وإكرامه في قران الفروسية، ومن الخصال المحمودة "[5].

وانظر كيف يستضيء الشارح بأقوال أهل اللغة في تحليله للبيت الشعري، بل نراه لا يقنع في معاينته البيت برصد الظاهرة لغويا، حتى يقوم بنشر البيت معنويا موضحا أثر ذلك على المعنى، وذلك في قول مسكين الدارمي: (الطويل)

---

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (٢١٧)، (١ / ٦٥٣).
(٢) نفسه: حماسية (٧٨٠)، (٢ / ١٧٤٤).
(٣) نفسه: حماسية (١١٣)، (١ / ٢٣٨).
(٤) نفسه: حماسية (٢٨٢)، (١ / ٨٦٣).
(٥) نفسه: حماسية (٢٣٩)، (١ / ٧٠٠).

obeikandi.com

وفِتْيَانِ صِدْقٍ لَسْتُ مُطْلِعَ بَغْضِهِمْ ... عَلَى سِرِّ بَغْضٍ غَيْرَ أَنِّي جِمَاعُهَا

" قوله: (وفتيان صدق) أضاف الفتيان إلى الصدق، كما يقال فتيان خير. والمعنى أنهم يصدقون في الود ولا يخونون. وقال الخليل: يقال رجل سوء وإذا عرفت ثلث الرجل السوء، ولم تضف، بل تجعله نعتاً. وتقول: عمل سوء وعمل السوء، وقول صدق وقول الصدق، ولا تقل الرجل الصدق، لأن الرجل ليس من الصدق. فيقول: رب فتيان هكذا استتاموا إلي واستودعوني أسرارهم، فكنت أنا نظامها لا يفوتني من خبيئات صدورهم شيء، ثم أردت كلاً منهم بالوفاء له، وكتمان ما أودعني من سره، ولا أطلع بعضهم على ما يستكتمني البعض الآخر، بل أصونه من الإذاعة، وأحفظه من النشر بالطي والصيانة. وذلك لأن حفظ السر يجري مجرى أداء الأمانات، فهو في الدين والدنيا مأخوذ به ومبعوث عليه " [1].

- لإفادة معنى الانضمام والاحتواء: كما في قول امرأة من بني هزان: يقال لها أم ثواب في ابن لها عقها: (البسيط)

رَبَيْتُهُ وَهْوَ مِثْلُ الفَرْخِ أَعْظَمُهُ ... أُمُّ الطِّبَاعِ رَءُومٌ تَرْبِي فِي جِلْدِهِ زَغَبَا

حَتَّى إِذَا آضَ كَالْفُحَّالِ شَدَّ نَبَهُ ... أَبَارَهُ وَنَفَى عَنْهُ مُشَبِّهَ الْقَرَبَا

أَنَّى يُغَالِبُ أَثْوَابِي يُؤَنِّبُنِي ... أَبْعَدَ شَيْبِي جُدِّي تَبْتَغِي الأَدَبَا

فـ " تسميته البطن بأم الطعام، كما قيل للجلدة الرقيقة الملتفة الدماغ أم الدماغ، وكما سمي المحرة أم العجوم، وكل ذلك لما في المضاف والمضاف إليه من الانضمام والاحتواء. وقد سمى الشنفري تأبط شرًا بأم عيال، فقال: (الطويل)

وَأُمِّ عِيَالٍ قَدْ شَهِدْتُ نَقُوسَهُمْ ... إِذَا أَطْعَمَتْهُمْ أَوْ تَخَمَّتْ وَأَتْلَمَتْ

لما كان يجمع من أمر أصحابه ويتكفل به لهم ويدبره. وقولها حتى إذا آض كالفحل حتى وضع للغاية، وأضيف إلى إذا وما بعده من الجملة التي انشرح إذا بها. والمعنى إلى هذا الوقت " [2].

أو قد تفيد معنى التملك إلى جانب معنى الانضمام والاحتواء، مثل قول أشجع بن عمرو السلمي: (السريع)

أَنْعَى فَتَى الْجُودِ إِلَى الْجُودِ ... مَا مِثْلُ مَنْ أَنْعَى بِمَوْجُودِ

أَنْعَى فَتَى مَحْضَ النُّهَى بَعْدَهُ ... بَلِيَّةُ النَّاعِي مِنَ الْغُودِ

" قوله أنعى فتى الجود إنما أضافه إلى الجود أيذانًا بأن الجود كان يمتلكه فهو فتاه. أو يريد أن الجود كان يتدجج بكون هذا الرجل من أسرته وأصحابه ، لأنه كان يتفتى في الجود؛ وهذا كما يقال: فلانٌ فتى الحرب، وكما قيل: لا فتىً إلا عليٌ في الوغى " [3].

- للتعريف: مثل قول ابن السلماني: (الطويل)

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ مَنْعِ لَلَاجِمٌ ... لِنَفْسِي وَلَكِنْ مَا يَرُدُّ الثَّقُومُ

---

(1) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (٣٦٩)، (٢ / ١١١٥ ، ١١١٦).
(2) نفسه: حماسية (٢٥٥)، (١ / ٧٥٦ ، ٧٥٧).
(3) نفسه: حماسية (٣٤١)، (١ / ٩٣٩ ، ٩٤٠).

" سلعٌ : موضعٌ أضاف اليوم إليه تعريفاً " [1].

أو للتعريف والتخصيص، كما جاء في قول العجير السلولي: (الطويل)

تركْنا أبا الأضْيافِ فِي ليْلةِ الصِّبَا بِجَرْ وَعِزْزَى كُلَّ خَصْمٍ يُجَابِلُهْ

" أضاف الليلة إلى الصبا تعريفًا وتخصيصًا، كأنه كان للصبا شأنٌ في تلك الليلة " [2].

- للتبيين: مثل قول العربان: (الطويل)

وَأَنْتَ سَقَاكَ اللهُ خَمْرَ سُلَافَةٍ بِمَاءِ سَحَابٍ خَابِرٍ بَيْنَ مُصْمَانِ

نجد الإضافة في قوله " خمر سلافة "، " وسلافة الخمر: أول ما يخرج من عصيرها. وإضافة الخمر إليها على طريق التبيين. وهذا كما ينبه " من " من قوله: " فاجتنبوا الرجس من الأوثان " (الحج / ٣٠) [3].

وقول مالك بن جعدة: (الوافر)

وَأَبْيَضَ صَافِهَا عَنِّي وَمَنَّا تَجِيئُكَ مَائِرَاتٍ مَا تَسُورُ
فَإِنَّكَ يَوْمَ تُؤْتَيْنِي خَرِيدًا تَجُلُّ عَلَى يَوْمَئِذٍ تُدُورُ

" ويوم مضاف إلى تأتيني على وجه التبيين، وهو ظرف لقوله تحل على يومئذ تدور " [4].

أو التبيين والتخصيص كما في قول حسان بن حنظلة: (الكامل)

غَضِبَتْ عَلَيَّ أَنْ انْتَمَيْتُ بِطَيِّئٍ وَأَنَا امْرُؤٌ مِنْ طَيِّئٍ الأَجْبَالِ
وَأَنَا امْرُؤٌ مِنْ آلِ خَيْرَةِ مَنْصِبِي وَبَنُو جَوْنٍ، فَأَسْأَلِي، أَخْوَالِي

" وقوله من طيء الأجبال يعني سلمى وأجأ. وهذه الإضافة على طرق التخصيص والتبيين، وذلك لأن طيئا فرقتان: فرقة تنزل السفل من جبالهم، وفرقة تنزل العلو " [5].

- لإفادة التشهير: مثل قول شاعر الحماسة: (الطويل)

يَغُرُّ بِخِيبَتِي أَنْ أُرِّي زَلَّةَ الغَضَى إِذَا مَا بَنَتْ يَوْمًا بِعِيبِي قِلَالُهَا
وَلَسْتُ وَإِنْ أَخْنَيْتُ مِنْ يَسْكُنُ الغَضَى بِآوِلِ رَاجٍ حَاجَةً لَا يَنَالُهَا

" أضاف الرملة إلى الغضى تشهيرًا لها " [6].

أو التشهير والتعظيم، مثل قول شاعر الحماسة: (البسيط)

يَوْمٌ ارْتَحَلْتُ بِزِجْلِي قَبْلَ بَزْدَعَتِي وَالخَيْلُ مُنْتَبِذَةٌ وَالقَلْبُ مَشْغُولُ

---

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (٢٥٦)، (١ / ٧٥٩).
(٢) نفسه: حماسية (٣١١)، (١ / ٩١٨).
(٣) نفسه: حماسية (٧١٢)، (٢ / ١٦٢٨).
(٤) نفسه: حماسية (٧١٧)، (٢ / ١٦٣٧).
(٥) نفسه: حماسية (٧٤٠)، (٢ / ١٦٨٢).
(٦) نفسه: حماسية (٥٠٩)، (٢ / ١٣٠٦ ، ١٣٠٧).

ثُـــمَّ انْـــصرفْتُ إلـــى نـــضوى لأبْطـــهُ ... إنْـــزَ الخُـــذوجِ الغَـــوادِي وهْـــوَ مغفُـــولُ

" أضاف اليوم إلى الفعل تشهيرًا له وتعظيماً لما اتفق فيه. وذلك أنه باغته حديث الفراق وما هم به المجتمعون معه في النجعة من الارتحال، فلما ورد عليه مالم يحسبه ولم يحدث نفسه به تولة وخولط حتى صار لا يدري ماذا يأتي عندما هم به من تشييعهم، والتهيئ للكون معهم، فقال: أنكر يوم أقبلت أضع الرحل على الناقة قبل الرذعة، وعقلي فاسد وقلبي مشغول بما دهمه من الحال " (١).

- لإفادة الغلو والإسراف: مثل قول عمرو بن قمية: (المسرح)

يـــا لهْفَ نفْـــسي علـــى الـــشَّباب ولَـــمْ ... أُقْضِـــذ بِـــهِ إذْ فَقَدْتُـــهُ أمَمَـــا
إذْ أهْـــلُهُ الـــرَّيْطُ والنُّمـــرُوطُ إلَـــى ... أنْـــسي يَجْـــاري وأنْفُـــضُ اللِّمَمَـــا
لا تَفْـــبِطُ العَـــرْفَ أنْ يُقَـــالَ لَـــهُ ... أضْـــحَى فُـــلانٍ لِمَكْـــرُمِهِ خَكَمَـــا
إنْ عَـــرْفَ طُـــولَ عِيْـــشِهِ فَلَقَـــدْ ... أضْـــحَى علـــى الوَجْـــهِ طُـــولَ مَـــا سَـــئِمَا

يقول الشارح: " يتحسر على ما فاته من الشباب وحسن أيامه، ونضارة العيش به، فقال: يا حسرة نفسي على مقتضى الشباب ومتوليه، فإن ما فاتني منه لم أفارق به أمراً قريباً، وشيئاً هيناً، لكني فقدت به صحة بدني، وروعة وجهي، وطيب عيشي، وقوة روحي، حين كنت أحر ربطتي (وهو الإزار الذي ليس بملفق) ومروطي (وهو جمع مرط وهو ملحفة يؤتزر بها) إلى أقرب الخمارين إلى وأنفض شعر رأسي إعجاباً به، واستحسانا له، وطرداً بداخلني في جميع أسبابي معه. ثم قال مزرياً بالشيب ومما يكتسبه المرء اذا علاه، من إكبار الناس له، وتقديمهم في المجالس إياه، ومن الرجوع إلى قوله ، واستشارتهم فيما يعز من الخطوب رأيه ، فقال : لاتغبطن الرجل ولا ترمقن ولاتجعلن محسدًا اذا قيل فيه: صار فلان حكمًا في عشيرته لكثرة تجاربه، واشتداد عصره، ودوام مزاولته للأمور، واتصال لقائه للناس وممارسته لهم وفيهم ، لأنه إن سره امتداد عمره، وتنفس عيشه فلقد ظهر في نفسه من ضعف وانحناء، وعلى وجهه من ذبول وسهوم إلى غيرها مما يدل على طول سلامته التي هي الداء الذي لادواء له ... وقوله (أدنى تجاري) إظهار لغلوه في مباءة الخمر وسرقه، ثم تبجح بإضافتهم إلى نفسه " (٢).

- للتأكيد: مثل قول حطيم: (الطويل)

وقَـــالَ وقَـــدْ مالَـــتْ بِـــهِ نَـــشْوَةُ الكَـــرَى ... ثُغامَتُـــا وضَـــنَّ بِمُطْـــلِقِ مُـــزَى اللَّيْـــلِ يَكْـــلَلِ
أتِـــيحُ نُفُـــوطُ الـــضَّأْنِ مِنْ نَوَاهُفَـــا ... قَلِـــيلاً وزَفَّـــةُ غَـــنَّ قَلائِـــصَ مِنْ ثُبَـــلِ
فَقُلْـــتُ لَـــهُ كَيْـــفَ الإنَاخَـــةُ بِغَـــدْنَا ... خُـــذَا اللَّيْـــلَ عُرْيَـــانَ الطَّرِيقَـــةِ مُنْجَلِـــي

" السرى: سير الليل خاصة، وأضافه إلى الليل فقال سرى الليل، تأكيدا. ومعنى البيت: وقال رفيقي وقد انتشى من الكرى وصار بتميل ولا يستقيم وهو ناعس، ومن يمارس السير ويهاجر النوم يتسلط عليه الكسل: أنخ راحلتك نداو المطايا التي أنضاها التعاس وهزلها الجهد، دواءها من الراحة والنوم، وسكن من قلائص مهازيل، ووسع ما ضيقت عليها من أوقاتها ... وقوله " فقلت له كيف الإناخة "، يريد كيف الوصول إلى النزول وقد أصبحنا

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة. حماسة (٤٥٨)، (٢ / ١٢٣٦).
(٢) نفسه. حماسة (٤٠٥)، (٢ / ١١٣٢).

وساق الليل صحيح واضح الطريقة، منكشف الشريعة، يجلى الظلام فيه ويفرق. يريد أن الرأي وقد انصرم الليل أن تتبلغ إلى الماء الذي تقصده ثم تنزل " (١).

٧ ـ المنادى:

أنواع المنادى خمسة يتعرف منها بالنداء نوع واحد ـ في الرأي الأرجح ـ هو: النكرة المقصودة دون غيرها (٢).

ويراد بالنكرة المقصودة: " النكرة التي يزول إبهامها وشيوعها بسبب ندائها، مع قصد فرد من أفرادها، والاتجاه إليه وحده بالخطاب "، فتصير معرفة دالة على واحد معين بعد أن كانت تدل على واحد غير معين، ولولا هذا النداء لبقيت على حالتها الأولى من غير تعريف. مثل " رجل " في قولك: يا رجل ساعدك على احتمال المشقة ..... إلخ " (٣).

ومن شواهد التعريف بالنداء في أشعار الحماسة، قول موسى بن جابر: (الكامل)

لا أشتهي يا قوم إلا كاربها ... بباب الأمير ولا يفساغ الخاجب " (٤).

فوقع التعريف بالنداء في قوله " يا قوم ".

وقول سعد بن مالك: (الكامل)

يا بؤس للحرب التي ... وضعت أراهط فاستراحوا

" قوله " يا بؤس لحرب "؛ نداء على معنى التعجب، والمعنى ما أبأس هذه الحرب وأشدها، وأقحم اللام بين المضاف والمضاف إليه توكيدا للإضافة وهو مما خص به النداء لما يراد من معنى المبالغة فيه والتشديد "(٥).

وقد يحذف المنادى وهو نكرة مقصودة، ويستدل عليها من سياق الكلام، مثل قول شاعر الحماسة: (البسيط)

يا قبح الله أقواما إذا ركبوا ... بني عميرة زحف البؤس والغار
قوم إذا خرجوا من سوءة ولجوا ... في سوءة لم يجنوها بأستار

" المنادى في قوله يا قبح الله محذوف، كأنه قال: يا قوم، أو يا ناس قبح الله أقواماً، أي أبعدهم الله " (٦).

وهكذا نجد أنه قد نتج عن تنويع التعريف تراء القول الشعري من الزاوية اللغوية، فالشارح ينتج بالخبر ممثلا في بنية التعريف على فضاء النص، مبرزا ومحللا أهم ظواهره من الناحية النحوية والتركيبية، ناثرا ـ في كثير من الأحيان ـ المعنى الشعري، مستعينا في تدعيم ذلك بما توافر لديه من نصوص نثرية أو شعرية.

يتضح لنا من خلال ما تقدم أن مسألة التنكير والتعريف عند الشراح موظفة لخدمة النص وضبطه، وليس أدل على ذلك تعليقات الشراح على مباحث علم معاني، التي قد جاءت جافة، خلت ـ أو تكاد ـ من تحليلات بلاغية

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (٨٢٠)، (٢ / ١٨١٥).
(٢) انظر: د/عباس حسن: النحو الوافي: (١ / هامش ٢١١).
(٣) انظر: نفسه: (١ / ٢١١ وما بعدها)، وانظر كذلك (٤ / ٢٥).
(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (١٢٣)، (١ / ٣٦٣).
(٥) الأعلم الشنتمري: تحلي شعر المعاني، ص ٧٠.
(٦) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (٦٥٠)، (٢ / ١٥٣٣).

ذات قيمة، مفتقرة إلى التحليل البلاغي الكافي، حتى يبدو لنا دور الشارح في هذه المباحث مقصورا على " رصد طريقة هذا الشاعر أو ذاك في استعمال اللغة على نحو ما. وبالرغم من أن ذلك لم يكن الهاجس الأوحد الذي يسكن الرُّواة /الشُّراح إذ كان همُّهم توثيق كل ما يساعد على فهم العربية وقرآنها فإنه لم يثنهم التوقف عند المقال الشعري في خصائص بنيته وأبرز مقاصده لكن بدرجات متفاوتة " (١).

وقد انعكس ذلك على صنيع الشراح تجاه نصوص أشعار الحماسة، حتى أصبح تعاملهم مع الأشعار وفق هذا البحث محصر في النحو واللفظ الغريب والخبر والمثل والشاهد شعرا وقرآنا وحديثا.

وبالرغم من كل ذلك فإن مساهمة هؤلاء الشراح في شرح أشعار الحماسة متمثل تلقي بظلالها على من سيأتي بعدهم من الشراح وغيرهم.

(١) د/أحمد الوردني: شرح الشعر عند العرب، ص ٦١.

obeikandl.com

أسلوب الذكر والحذف:

يعد أسلوب الذكر والحذف وجها من أوجه بلاغة القول وفصاحته، فقد يذكر الحرف في كلمة في موطن ما، ويحذف هذا الحرف من نفس الكلمة في موطن آخر، وتذكر الكلمة في موطن ما وتحذف في موطن آخر مع اقتضاء ذكرها، فللذكر مواقف وأماكن يحسن اللجوء إليها في مواضعها وتعد من بلاغة القول أو الكتابة، وللحذف ـ أحيانا ـ كذلك نفس الشأن فللجوء إليه بلاغة في أماكنه ومواقعه المستحبة، وهذا الذكر أو الحذف ليس عشوائيا، إنما يسير وفق رابط ينظمه الشاعر في سلك النص الشعري.

ويعد الذكر الأصل في تركيب اللغة، فاللغة تجعل للجملة العربية أنماطاً تركيبية معينة من خلال ترابطها بسياق الكلام، فإذا لم تشتمل على بعض هذه التراكيب عددنا ذلك حذفاً؛ لذلك أثرنا الحديث عنه بداية، ثم ينلو ذلك الحديث عن الحذف.

أولا: الذكر:

يقرن البلاغيون الذكر بالحذف وهو نقيضه، ويعنى به وجود كلمة على جهة التذكير بالمعنى، ففي الذكر "تعويلا على شهادة اللفظ من حيث الظاهر" [1]. وأشعار الحماسة لا تخلو من الذكر، لذلك سنجد في أبيات شعرائها الكثير من أشكال الذكر المختلفة، وهو ما تنبه إليه الشراح، وأشاروا إليه أثناء تناولهم الأشعار بالشرح والتحليل. ويرجع تقويم الشراح إلى الذوق الأدبي الراقي والمعرفة بأصول البلاغة العربية، وحسن البيان في الكلام أو الكتابة. ويذكر المسند إليه والمسند وغيرهما في العبارة لسبب من الأسباب، أفاض البلاغيون في سردها [2]، ولكننا سنقتصر هنا على أهم الأغراض التي وردت في أشعار الحماسة، ونبه عليها الشراح، منها:

١ ـ الذكر لزيادة الإيضاح والتقرير:

مثل ما جاء في شرح قول شاعر الحماسة: (البسيط)

إنّـــي وإيّـــاكَ كالـــمُتَادِي رأى نَهَـــلاً ... وذُونَـــهُ هُـــوَّةٌ يَخْـــشَى بِهَـــا التَّلَفَـــا
رأى بِعَيْنَيْـــهِ مَـــاءً غَـــرَّ مَنْـــزِرَةً ... وَلَـــيْسَ يَنْلِـــكَ دُونَ المَـــاءِ مَنْـــصَرَفَا

" وإنما قال " رأى بعينيه " فذكر العين تأكيداً للرؤية. ومثله قوله تعالى: " ولاطائر يطير بجناحيه " وما أشبهه " [3]. فذكر (العين) مع دلالة السياق عليها؛ لتأكيد ثبوت الرؤية وتقريرها، مستشهدا بالقرآن الكريم.

٢ ـ الذكر لإظهار شدة التلذذ والإنكار:

مثل قول أنيف بن حكم النبهاني: (الطويل)

جَمَعْنَـــا لَهُـــمْ مِـــنْ حَـــيِّ عَـــوْفِ بْـــنِ مَالِـــكٍ ... كَتَائِـــبَ يُـــزْرِي النَّفْـــرِقِينَ نَقَائِهَـــا

---

(١) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٣٨.
(٢) انظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ص ٣٠٧، ٣٠٨.
(٣) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (٥٨٥)، (٢ / ١٤١٥).

obeikandl.com

يقول الشارح: " ونكر المقرفين ولم يذكر الهجناء لأنهم وإن كانوا يأخذون مأخذهم في أنه لا يخلص نسبهم، ولا يصفو سببهم، فنقيهم أشد نقداً، ومزيفهم أنكر دفعاً " [1]، ثم اختار الشارح أن يعزز تفسيره لهذا البيت بشواهد من أشعار العرب وذلك لـ " يقيم الصلة بين تجربة الشاعر الخاصة وبين تجربة أو تجارب أخرى عامة " [2]، حيث يقول: " وكان عنترة العبسي هجينًا فقال : (الكامل)

إنّي امرؤٌ من خيرِ عبسٍ منصبًا ... شطري وأحمي سائري بالمنصلِ

نافيًا للافتراء، فجعل أحد شطريه من خير عبس، وجعل الباقي يحميه من الذم باستعمال السيف يوم الروع، وحسن البلاء في الحرب، حتى يلحقه بالخلص، ولا تقعد به هجنته عن الدخول في زمرة الصرحاء " [3].

٣ ـ النكر لتغليظ القول وتخشينه:

مثل قول الشماخ بن يعمر الكناني: (المنسرح)

أكْثَرْتَ حازنتُ خُزاعةُ ثَمَّ ... دوني فأتّي لأمّهم جَفَلُ

يقول الشارح: " ونكر الأم تغليظًا للقول وتخشينًا " [1].

٤ ـ النكر للإهانة والتحقير:

مثل قول كبشة أخت عمرو بن معد يكرب: (الطويل)

ولا تأخذوا منهم إفالاً وأبكُرًا ... وأنزك في بيتٍ بصنعاءَ مُظلمِ

يقول الشارح: " فإن قيل: لم نكر الإفال والأبكر وما يؤدي في الديات لا يكون منهما ؟ قلت: أراد تحقير الديات " [2]، وفي سبيل شرحه للمعنى قد ينفتح على الاستشهاد بمذاهب العرب في الاستخدام وطرائقها في التعبير، فيتعطى بذلك حدود الشاعر الواحد إلى آفاق أرحب وأوسع، وهذا ما نراه جليا في استطراد الشارح في تفسيره للبيت السابق بالقول " وهذا كما يقول الرجل إذا أراد تحقير أمر خلعة خار بها إنسان: إنما أعطي خرقًا وقلوسًا! وإن كانت الثياب المعطاة كسوة فاخرة، والمال الموفر جائزة سنية " [3].

وكذلك ما جاء في قول عارق الطائي: (الطويل)

فقلتُ بناءٌ غيرُ ما قالَ قائلٌ ... غثيمةُ سوءٍ ومنطقٌ مهارقُه

ولو نيلَ في عهدٍ لنا لحمُ أرنبٍ ... وقيّنا وهذا العهدُ أنت مغالقُه

أكلُّ خبيصٍ لحظةَ القدمِ مرةً ... وصانف حيًا نابنا هو سابقُه

فـ " قوله لحم أرنب نكره تحقيرا وأنه صيد مستباح " [4].

---

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، حماسية (٣٣)، (١ / ١٦٩).
(٢) د/أحمد الوهرني: شرح الشعر عند العرب، ص ١١٤.
(٣) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (٣٣)، (١ / ١٦٩).
(٤) نفسه: حماسية (٤١)، (١ / ١٩٧).
(٥) نفسه: حماسية (٥٢)، (١ / ٢١٣).
(٦) نفسه: حماسية (٥٣)، (٢ / ٢١٨).
(٧) نفسه: حماسية (٧٨٠)، (٢ / ١٧٤٤).

ومما يتصل بهذا الغرض، التقبيح والتشنيع، كما في قول شاعر الحماسة (موسى بن جابر) (الطويل)

إذا ذُكِرَ ابنا الضَّبْرِيَّةِ لم تَضِقْ ... ذِراعِي وألقى باسْتِهِ مِنْ أَفاجِزْ

فـ " ذكر الاست تقبيحٌ لفعله عند النكوص والانهزام، وتشنيعٌ عليه في التولي والإدبار " (١).

وكذلك الإزراء والاحتقار، كما في قول أدهم بن أبي الزعراء: (الطويل)

وبالخِدْرِ المَفْصُورِ خَوْدٍ بُيُوتُنا ... تَوائِمُ كالغِزْلانِ نُجْلٌ عُيُونُها

وإنَّا لَنَخْفُونَ جِينَ غَضِبْتُمُ ... بأيْمَنِ عَبْدِ اللهِ أنْ سَتُهِينُها

فَلَسْتُ لِمَنْ أدْعَى لَهُ إنْ تَقَفَّأَتْ ... عَلَيْها دَنابِيلُ اسْتِهِ وخُبُوثُها

فـ " قوله فلست لمن أدعي له يجري مجرى اليمين، أي للوالد الذي أنسب إليه، أن أنكح عبد الله فينا، وتشتت حراجات استه عليها. وهذا الكلام إزراء به، واحتقار له، بنكر السوأة منه. وذكر الدنابيل تشنيع للحال، وأن العزبة بلغت به هذا المبلغ لزهد الناس في مناكحتهم " (٢).

و أيضا الغض والإبهام ، مثل قول الراعي: (الطويل)

فَإذا نُكِّرْتُمْ مِنْ قُلُوصٍ عَقَرْتُمُها ... بِمَنْفِي وضِيقانَ الشِّتاءِ شُهُودُها

فَقَدْ عَلِمُوا أنِّي وفَيْتُ بِزَيْهِا ... فَراحَ على غَيْرِي بِأُخْرَى يَقُودُها

تَرَيْتُ الكِلابِيَّ الَّذِي يَنْتَمِي القُرَى ... وأُمُّكَ إذْ تَغْذِي إلَيْنا قَعُودُها

فـ " في ذكر الأم وأنه أضافها مع الكلابي بعض الغض والإبهام " (٣).

٥ ـ الذكر استعارة في الإظهار والكتمان: مثل قول الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب: (البسيط)

مَهْلاً بَنِي عَمِّنا مَهْلاً مَوالِينا ... لا تَنْبُشُوا بَيْنَنا ما كانَ مَدْفُونا

" وذكر الدفن والنبش استعارةٌ في الإظهار والكتمان " (٤).

٦ ـ الذكر للفخر:

مثل قول رجلٌ من بني نمير: (الوافر)

أنا ابْنُ الرَّاكِضَيْنِ مِنْ آلِ عَمْرٍو ... وفُرْسانِ العَشائِرِ مِنْ جَنابِ

نُغَرِّضُ للمَنُوبِ إذا التَقَيْنا ... وجُوهُنا لا نُغَرِّضُ للسِّبابِ

فَأبِي سَراةُ بَنِي نُمَيْرٍ ... وأُخْوالِي سَراةُ بَنِي كِلابِ

فالشاعر " يفتخر بأن آباءه رؤساء خطباء ... وذكر عمرًا وجدتها ليرى أنه كريم الطرفين، ويدل على هذا قوله فيما بعده:

فَأبِي سَراةُ بَنِي نُمَيْرٍ ... وأُخْوالِي سَراةُ بَنِي كِلابِ " (٥).

---

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (١٢٦)، (١ / ٣٦٩).
(٢) نفسه: حماسية (٦٢٢)، (٢ / ١٤٧٦).
(٣) نفسه: حماسية (٦٣٩)، (٢ / ١٥٠٨).
(٤) نفسه: حماسية (٥٥)، (١ / ٢٢٤).
(٥) نفسه: حماسية (٢٣٨)، (١ / ٦٩٤).

obeikandl.com

٧ ـ الذكر للتهويل:

مثل قول يزيد بن ثقاة: (الطويل)

لعمري وما عمري عليَّ بهيّنٍ ... لبئس الفتى المذعوّ بالبُخل خاتمْ
غداة أبي الثُّوب أخرجَ قائفي ... بجنبتيه أقتاله وهو قائمْ
فقلْ بصخراءِ العُزيط نُعامةٌ ... تُبايزها جِنخ الظِّلاع نعائمْ
أعارتك رجليها وهاقي أيْنها ... وقد جَرَبتْ بيضُ المئون صوارمْ

حيث " ذكر الليل لشدة الهول فيه " [1].

هذا قليل من كثير تناول فيه الشراح الذكر و أغراضه ، معززين رؤاهم وتفسيرهم بما تواضع عليه العرب في الاستخدام ، وما شاع في أشعارهم ، إلى جانب النص الديني قرآنا وحديثا " إذ لا سبيل إلى إحكام للعربية بمنأى عن معجزتها اللغوية القرآن ، فلا غرابة أن تكون لغة الشعراء الأول ذات وقع قرآني وعلى صلة ظاهرة أو خفية بالحديث باعتبار تلك الضربين من النصوص يمثلان نموذج الفصاحة عند العرب. لذلك يكشف الرواي / الشارح من خلال رصد الاستشهادات مظاهر التقاطع بين النص الديني والشعر " [2]، وهو ما نجد أثره واضحا في عرض الشراح لأسلوب الذكر، وهو ما يعكس تباين ثقافة الشارح الذي يعد النص الديني أبرز مكون لها.

ثانيا: الحذف:

يندرج الحذف ضمن ما يصطلح عليه البلاغيون ببلاغة الإيجاز . والإيجاز كما عرفه أبو يعقوب السكاكي " هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوسط " [3]، ونميز فيه بين بلاغة القصر وبلاغة الحذف . فبلاغة القصر مثل قوله تعالى " ولكم في القصاص حياة " (البقرة / ١٧٩)، إذ عبر عن المعنى الكثير باللفظ القليل. أما بلاغة الحذف فهي " ظاهرة لغوية عامة تشترك فيها اللغات الإنسانية، حيث يميل المتكلمون إلى حذف بعض العناصر المكرّرة في الكلام، أو إلى حذف ما يمكن للسامع فهمه اعتماداً على القرائن المصاحبة حالية كانت او عقلية أو لفظية " [4]، فهي ترتبط بحذف كلمات عمدة أو في حكم العمدة أو فضلة أو في حكم الفضلة. مثل حذف المسند والمسند إليه والحال والمضاف والمضاف إليه ...؛ وذلك لغاية بلاغية محضة. وقد عبر عبد القاهر الجرجاني رحمه الله عن هذه البلاغة بقوله في دلائل الإعجاز : " هو باب دقيقٌ المسلك، لطيفٌ المأخذ، عجيبُ الأمر، شبيه بالسحر؛ فإنك ترى به تَرْكَ الذكر، أفصحَ من الذكر، والصمتَ عن الإفادة، أزيدَ للإفادة؛ وتجدك أنطقَ ما تكونُ إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكونُ بيانًا إذا لم تبِنْ ؛ وهذه جملةٌ قد تنكرُ ها حتى تخبُرَ، وتنظرها حتى تنظُرَ" [5]، وعده ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) بابا قيما من أبواب شجاعة العربية [6].

---

(١) المرزوقي. شرح ديوان الحماسة: حماسية (٦١٥)، (٢ / ١٤٦٤).
(٢) د/أحمد الودرني: شرح الشعر عند العرب، ص ١١٨.
(٣) السكاكي: مفتاح العلوم، ص ٣٨٨.
(٤) د/مظاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار المصرية للنشر، الإسكندرية، ١٩٩٧ م، ص ٤.
(٥) عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز، ص ١٤٦.
(٦) انظر: ابن جني: الخصائص، (٢ / ٣٦٠) وما بعدها.

obeikandl.com

وتتعدد الأسباب الداعية إلى الحذف في سياق التراكيب، فمنها " التخفيف، الإيجاز والاختصار، الاتساع، التفخيم والإعظام، صيانة المحذوف عن الذكر تشريفا له، التحقير، الجهل بالمحذوف ... " [1]، إلى جانب العديد من الأغراض التي ليس هذا مجال إحصائها.

وهو ما عبر عنه الشراح ولكن بمفاهيم مختلفة، من مثل " الحذف لدلالة الحال وتعارف المتكلمين "، كما جاء في قول شاعر الحماسة: (الكامل)

يَأَيُّهَا الْقَائِمُ الَّذِي قَدْ رَيَّبَنِي أَنْتَ الْفِدَاءُ لِبَنِي غَامٍ أَوَّلا
أَنْتَ الْفِدَاءُ لِبَنِي غَامٍ لَمْ يَكُنْ نَحْسًا وَلا بَيْنَ الأَحِبَّةِ زُيَّلا

" وقوله (عام أولا) مما ألف فيه كثرة الاستعمال، فوصف بصفة لم توصف به نظائره، اعتماداً على التعارف. والمراد بهذا أنه لم يقل شهر أول ولا حول أول، ول سنهة أولى، وإنما خص هو بذلك لكثرة الاستعمال، ولأن دلالة الحال وتعارف المتكلمين به سوغ الحذف والإجراء على ما ألف فيه " [2].

أو لعلم السامع، كما علق الأعلم الشنتمري على قول ابن زيابة التيمي: (السريع)

أَنَا ابْنُ زَيَّابَةَ إِنْ ثَعْلَبِي آبَ بِكَ . وَالظَّنُّ عَلَى الْغَائِبِ

يقول: " إن توعدتني بإقدامك ونسبتي إلى الجبن عنك والضعف عن مقاومتك ثم لقيتني علمت أن ظنك كاذب، فرجع كذبك عليك، وأراد والظن مردود على الكاذب، فحذف لعلم السامع " [3].

أو " الحذف لبيان المعنى "، كما ورد في قول خفاف بن ندبة: (المتقارب)

فَإِنْ تَنْبُحَاهُ رَأَى اللَّهْجَا عِ يَبْنِي وَيَبْنَكَ لا تُطْلَعُ
وَأَيْقَضَ إِلَيَّ بِإِتْيَانِهَا إِذَا أَنَا لَمْ أَنْهَهَا أَنْفَعُ !!

يقول أبو هلال العسكري: " رواه هذا الشيخ: (إذا أنا لم أنسها أرفع) .. والمشهور الأول، أي: إذا أنا لم أنسها أدفع إلى تناسيها؛ للود والقرابة اللذين بيننا، فحذف، لبيان المعنى، وفيه وجه آخر أجود من هذا، وهو: أني إن لم أن أنسها أدفع عن الرياسة " [4].

وقد تنبه الشراح إلى أسلوب الحذف في أشعار الحماسة، فأشاروا إلى مواضعه، وأغراضه، وأسبابه، وأشكاله، والتي من أهمها:

١ ـ الحذف في الجملة الاسمية:

(أ) حذف المبتدأ:

يقول ابن جني في شرح قول عمرو بن كلثوم التغلبي: (الطويل)

---

(١) انظر: مايظاهر حمودة: ظاهرة الحذف، ص ٩٥ ; ١٠٧.
(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، حماسية (٤٥١)، (٤ / ١٢٠٧).
(٣) الأعلم الشنتمري: كتاب تحرير المعنى، ص ١٣٧.
(٤) أبو هلال العسكري: رسالة في بسط وتحرير موضع من الحماسة، ص ١٧٨، ١٧٩

ثلاثـــــةُ آلـــــلافٍ فأثمـــــانُ خيلِنـــــا وأقوامُنـــــا ومـــــا نـــــسُوقُ إلـــــى الفُـــــلِّ

" أي أموالنا ثلاثة آلاف، فحذف المبتدأ، وحذفه أيضا فيما بعد في قوله: فأثمان خيلنا أي فثلث أثمان خيلنا أو فأثمان خيلنا ثلث كذا وكذا وكذا وكذا ...، وقال: ثلاثة آلاف، ولم يقل: ثلاثة أقسام من قبل أن الأقسام قد تكون متساوية وغير متساوية، فأراد صحة القسمة واعتدال المساهمة " (١).

وقول الرماح الأسدي: (الكامل)

بينـــــا فـــــذاك رأيتُنـــــي متنوجـــــا بـــــالبُرد فـــــوقَ جُلالـــــة مِـــــرْذاحِ

" أراد بينا نحن أو بينا الحال كذلك، فحذف المبتدأ طمأ منه بموضعه، ألا ترى أن بينا لا يضاف مع الجثث إلا على الجُمل، فإن كان ما بعدها حدثا أضيفت إلى المفرد، نحو قوله: (أبو ذؤيب) (الكامل)

بينـــــا تعنقـــــه الكمـــــاةُ فُروغـــــهُ يومـــــا أتـــــيحَ لـــــهُ جَـــــرِيءٌ ســـــلفعُ

وقد يكون صاحب الجملة بعد بينا حدثا أيضا نحو قولك: بينا تجلك نالع لنا عرض ما أوجب قعودك، وعليه أجزنا في البيت أن يكون تقديره: بينا الأمر كذلك " (٢).

(ب) حذف الخبر:

مثل قول مسافع بن حذيفة العبسي: (الطويل)

ســـــلام بنـــــي عمـــــرو علـــــى حيـــــث هـــــامكم جمـــــال النـــــدى والقـــــا والـــــمنور

" هامكم مبتدأ محذوف الخبر، من جملة محذوفة مجرورة الموضع بإضافة حيث إليها، أي حيث هامكم مقبورة أو موجودة ... ومثل هذا المبتدأ المحذوف الخبر للعلم به في نحو هذا الموضع قولهم: جئتك إذ ذاك، أي إذ ذاك كذلك، فحذف الخبر من الجملة المجرورة الموضع بإضافة إذ إليها ونصب جمال الندى لأنه بدل من بني عمرو بلام الندى وإن لأنه فعيل من الندوة، وهي موضع جلوس النادي والندى" (٣).

وقول رجل من بكر فيما كان بينهم وبين بني ذهل بن شيبان: (الوافر)

فـــــإنْ نرضَـــــوا فإنَّـــــا قـــــدْ رضَـــــينا وإنْ تـــــأبَوْا ، فـــــأطرافُ الرِّمـــــاحِ

" يقول: " إن رضيتم بمن قتلنا منكم عن المُقلى فقد رضينا، وإلا فالحرب بيننا وبينكم. وقوله " فأطراف الرماح " مبتدأ، وخبره محذوف لعلم السامع، والتقدير فأطراف الرماح حاكمة بيننا وبينكم " (٤).

٢ ـ الحذف في الجملة الفعلية:

(أ) حذف الفعل: مثل قول سويد المراثد الحارثي: (الطويل)

---

(١) ابن جني: سر صناعة الإعراب، تحقيق: حسن هنداوي (ط ٢)، ص ١٥٠.
(٢) نفسه: تحقيق: حسن هنداوي (ط ٢)، ص ٢٢٤.
(٣) نفسه: تحقيق: حسن هنداوي (ط ٢)، ص ٢٦٧.
(٤) الأعلم الشنتمري: تحقيق نهر المعاني، ص ١٧٥.

obeikandl.com

أَنْضَرِبي لَقَدْ نَادَى بِأَرْفَعِ صَوْتِهِ ... نَبِيٌّ مَسْوَدٌ لُؤْيَ فَأَبْيَضُكُمْ فَوَى
أَجَلْ صَابِئًا ، وَالقَائِلُ الفَاعِلُ الَّذِي ... إِذَا قَالَ قَوْلاً أَنْبَطَ المَاءَ فِي الثَّرَى

إذ نجد " صادقا حال من الفاعل في فعل محذوف، أي نعم قلت صادقا " (١).

ويندرج تحته أشكال كثيرة للحذف، أشار إليها الشراح، منها:

- حذف الفعل العامل: مثل قول بعض بني أسد: (الطويل)

فَيَا لَيْتَهَا الرُّومُ المُخَلَّى لِبَاقَةٌ ... بِكُرْمَيْنِ كُرْمَيْنِ فِضَّةٍ وَقَرْيَةُ
أَجِدِّيَ لا أُغْنِي بِزَيْنَانِ خَالَتِي ... وَغُضُّوَ إِلا قِيدَ أَيْنَ تُرِيدُ

يقول الشارح: " " أجدي " في موضع المصدر، والفعل العامل فيه محذوف، وذكر الإمساء والمراد الإمساء والإصباح جميعاً، لكنه اكتفى بذكر أحدهما لعلم الناس بأن حاله فيما ذكره يستوي فيه الليل والنهار " (٢).

- حذف الفعل (الماضي) المجزوم: مثل قول شاعر الحماسة: (الوافر)

لَمْ أَرَ مِثْلَهُمْ عَشْرًا كَتِبِّي ... تَثَلَّهُمُ النَّهَابِثُ وَالنُّجُودُ
أَجَلْ جَلاَّلَةٌ وَأَعَزُّ قَدْرًا ... وَأَمْضَى لِلْخُطُوبِ وَهُمْ قُعُودُ
وَأَكْثَرُ نَاشِئًا مِنَّا بِخَيْرٍ ... يُعَيِّنُ عَلَى العَشِيرَةِ أَوْ يَسُودُ

حيث " لتنصب أجل بفعل مضمر، كأنه قال: لم أر أجل جلالة منهم، لكنه اختصر وحذف " (٣).

(ب) حذف المفعول:

مثل قول عمرو بن ضبيعة الرقاشي: (الطويل)

أَلا لِيَقُلْ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ ، إِنَّمَا ... يُلاَمُ الفَتَى فِيمَا اسْتَطَاعَ مِنَ الأَمْرِ

فالشطر الأول من البيت حذف فيه المفعول على تقدير " أي من شاء القول، فحذف المفعول ما شاء قوله ، ثم حذف المضاف فصار ما شاءه، ثم حذف العائد المنصوب على العبرة " (٤).

وانظر كذلك تعليق ابن جني على قول شاعر الحماسة: (الطويل)

فَقُلْتُ لَهُ : أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَبًا ... بِنَوْفَلِ شَارِ مُحْتَشِدٍ مَنْ يَزُورُهَا

بالقول: " مفعول محمد محذوف، أي محمد لها أو محمد ها من يزورها. وحذف المضاف، أي محمد أهلها. وهذا اسم الفاعل من أحمدت الشيء إذا وجدته محمودا " (٥).

وقد يحذف أحد المفعولين، كما في حذف أحد مفعولي كفى، في قول قبيصة بن النصراني الجرمي: (الوافر)

---

(١) ابن جني: مشكل أبيات الحماسة: حماسية (١٦٥)، ص ٢٢٥.
(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (٥٨٣)، (٢ / ١٤١٢).
(٣) نفسه: حماسية (٦٩٧)، (٢ / ١٦٠٠ ، ١٦٠١).
(٤) ابن جني: مشكل أبيات الحماسة: حماسية (٢٨٤)، ص ٣٤٢.
(٥) نفسه: حماسية (٣٥٥)، ص ٣٩٥.

obeikandl.com

ألا بَكَرَتْ غُرَّيْنِ فَاخْتَلِيَا وَبَكَّى ... عَلَى فَرْعِ إِرْبِيبِ الذُّهَيْرِ كَئِيبُ
وَمَا لِلْفَتَيْنِ لَا تَبْكِي لِغَوْلِ ... وَزَيْدٍ وَابْنِ عَمْهِمَا نُقَابُ
وَغَيْدَاءَ بَانَتْ لَهْفِيَ عَلَيْهِ ... وَمَا يَخْفَى بِزَيْدٍ مُنَاةُ خَابُ
وَجَدْنَا أَهْوَنَ الْأَمْوَالِ هُلْكًا ... وَجِدْكَ مَا ثَبَتْ لَهُ الْأَثَابِي

فـ " قوله (إربيب الدهر كاف) قد حذف أحد مفعولي كفى، كأنه كاف الناس ريب الدهر، أي ما رابه من أحداثه "[1].

أو قد يحذف المفعولين، كما في قول سلمى بن ربيعة: (الكامل)

وَمُنَاخِ نَازِلَةٍ كَفَيْتُ وَفَارِسٍ ... نَهْلَتْ قَنَاتِي مِنْ مَظَاهَةَ وَعَلَّتِ

إذ نجد أن " وكفيت يتعدى إلى مفعولين وقد حذفهما، كأنه قال: كفيته العشيرة. يقول: ورب نازلةٍ نَاخَتْ أنا دفعت الشر فيها، وكفيت قومي الاهتمام بها؛ ورب فارسٍ سقيت رمحي من دم ظهره الطل بعد النهل "[2].

وقد كثر ورود هذا الشكل من أشكال الحذف ـ أعني حذف المفعول ـ كثرة مفرطة، ولعل من أكثر الشراح الذين أشاروا إليه ونبهوا عليه المرزوقي[3]، ولكنها إشارات تقف ـ في معظمها ـ عند الجانب النحوي، مفتقرة إلى العاتب البلاغي في التحليل والتفسير.

(ج) حذف الجملة الفعلية:

وقد تحذف الجملة الفعلية؛ للاختصار والإيجاز، كما جاء في قول شاعر الحماسة. (حسان بن ثابت) (الطويل)

سَقَوْا أَخَوَيْهِمْ قَبْلَ نَزْلَةِ كَأْسِهِمْ ... بِأَسْيَافِهِمْ حَتْفًا هَوَى فَتَقَطَّرَا

" في الكلام اختصارٌ، كأنه قال : ابتدروه بالأسياف وضربوه حتى سقط، فحذف ضربوه "[4].

٣ ـ الحذف في جملة الشرط:

(أ) حذف جواب إن:

مثل قول رجل من العنبر، وقد تروى لأبي الغول الطهوي: (البسيط)

إِذَا لَقَامَ بِنَصْرِي مَعْشَرٌ خَشُنُوا ... عِنْدَ الْحَفِيظَةِ إِنْ ذُو لُوثَةٍ لَانَا

" فإن قلت: فأين جواب قوله: إن ذو لوثة لانا، قيل: محذوف، دل عليه قوله: خشن، أي إن لان ذو لوثة خشنوا هم. ودل المفرد الذي هو خشن على الجملة التي هي خشنوا أو يخشنوا، وذلك لمشابهة اسم الفاعل وما يجري مجراه الجملة، بما فيه من الضمير "[5].

---

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (٣٥٨)، (٢ / ١٠٣٠ ، ١٠٣١).
(٢) نفسه: حماسية (١٧٨)، (١ / ٥٤٩).
(٣) انظر على سبيل المثال لا الحصر: المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، حماسية (٤٠١)، (٢ / ١١١٩)، وحماسية (٤٠٣)، (٢ / ١١٢٣)، وحماسية (٥٧٨)، (٢ / ١٣٩٠)، وحماسية (٥٧٩)، (٢ / ١٤٠٥)، ... إلخ.
(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (١١٣)، (١ / ٣٣٨ ، ٣٣٩).
(٥) ابن جني: مشكل أبيات الحماسة، ص ١٧، ١٨.

obeikandl.com

وقول عمرو بن معد يكرب: (مجزوء الكامل)

لَـــــيْسَ الجَمَـــــالُ بِمِئْـــــزَرٍ فَـــــاعْلَمْ وَإِنْ رُدِّيـــــتَ بُـــــرْدَا

" جواب إن محذوف ودل عليه ما يصحبه، وهذا كقولك: أنت ظالم إن فعلت، أي على معنى إن فعلت ظلمت، فكذلك هذا، فكأنه قال: " إن رديت بردا " فاعلم أن الجمال في إعداد آلة الحرب لاجتياز المجد، لا فيما تلبسه، وتتجمل به " [1].

(ب) حذف جواب لما:

مثل قول المسافر بن هند: (الكامل)

لَمَّـــا رَأَيْـــتُ النَّـــاسَ هَـــرُّوا فِتْنَـــةً غَمْيَـــاءَ تُوقِـــدُ نَارُهَـــا وَتُثِـــيرُ

" جواب لما منتظرٌ، وهو هنا محذوف يدل عليه الكلام، كأنه قال: انقبضنا عن النهوض فيها والحراك، لننظر ماذا تكون " [2].

(جـ) حذف جواب " لو ":

كما في قول الشمير الحارثي: (الطويل)

وقَـــدْ نَـــاجَتِي مَـــا جَـــرَّتِ الحَـــرْبُ بَيْنَنَـــا بَنِـــي عَمِّنَـــا ، لَـــوْ كَـــانَ أَمْـــرًا مُـــدَانِيَا

" جواب لو محذوف أي لو كان أمرا مدانيا قريبا يغتفر مثله لغفرناه، دل عليه قوله: بني عمنا، لأنهم إذا كانوا بني عم كانوا بالعفو فيما يحسن فيه العفو خلقاء " [3].

٤ ـ الحذف في شبه الجملة:

(أ) حذف المضاف:

وشواهده كثيرة ومتعددة، وسأكتفي هنا بشاهد أو اثنين، مشيرا في الهامش إلى باقي الشواهد الموجودة.

مثل قول أبو حنائ البراء بن ربعي النقيسي: (الطويل)

ثَنَايَنِـــــيَ قَـــــالُوا أَوَّلَتْـــــهُ ثَـــــوَيْتَهُمْ بِهِـــمْ قُلْـــتُ أَعْطَـــانِي مَـــا أَشَـــاءُ وَأَمْنَـــعُ

يقول ابن جني: " أصل هذا ما أشاء أعطاه، فحذف المضاف لدلالة الموضع عليه، فصار أشاؤه، ثم حذف الضمير من الصلة على جاري العرف فيه والعادة " [4].

وقول بشر بن المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة، وقال بُسْر: (الطويل)

وَكُلُّهُـــمُ قَـــدْ نَـــالَ شَـــيْئًا لِبَطْنِـــهِ وَشِـــبْعُ الفَتَـــى لُـــؤْمٌ إِذَا جَـــاعَ صَـــاحِبُهْ

---

(١) ابن جني: مشكل أبيات الحماسة، ص ٧٣.
(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (١٥٥)، (١ / ٤٦١).
(٣) ابن جني: مشكل أبيات الحماسة، ص ٥٨.
(٤) نفسه، ص ٢٣٠.

obeikandl.com

فـ " الشبع الشيء من الطعام المشبع، والشبع مصدر شبعت وإذا كان كذلك وجب حذف المضاف، أي وذيل شبع الفتى لؤم. ألا ترى أن نفس الجوهر المشبع ليس لؤما ولا كرما " (١).

ويضيق المقام عن ذكر باقي الشواهد التي شغلت حيزا كبيرا من أسلوب الحذف عند الشراح (٢)، والتي يظهر من خلالها اكتفاء الشارح بالتنبيه على موضع الحذف ، ونوعه، دون التطرق - في كثير من الأحيان - إلى غرضه، وأثره البلاغي في السياق.

(ب) حذف اسم الزمان:

وقد كثر بشكل مفرط ، لذلك سنكتفي بشاهد، ونشير إلى باقي تلك الشواهد في الهامش، مثل قول شاعر الحماسة: (عمرو بن معديكرب) (الرمل)

وابْـــنُ صَـــبْحٍ سَـــابَرَا يَوْمَـــهُ مَالَـــهُ فِـــي النَّـــاسِ مَـــا عِـــشْتُ نَجِيـــرُ

فـ " موضع ما عشت ظرف، بيانه أن ما مع الفعل في تقدير المصدر، واسم الزمان محذوف معه، كأنه قال. مدة عيشي " (٣).

د - حذف الحرف:

ولـ يحسن الحرف تخفيفا في النطق، وبعدا عن الاستثقال. ومن أهم الحروف التي تحذف وحرص الشراح على الإشارة إليها:

(أ) حذف حرف الجر " من ":

مثل قول شاعر الحماسة: (الكامل)

إنِّـــي امـــرؤٌ نَجْـــدٌ الرِّجَـــالُ غـــذَاوَتِي وَجْـــدُ الرِّكَـــابِ مِـــنَ الـــذُّبَابِ الأَزْرَقِ

" أراد من عذارتي، ألا تراه قال فيما بعد: وجد الركاب من الذباب " (٤).

موضحين سبب الحذف أحيانا، كما في قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: (الوافر)

شَـــقَقْتُ القَلْـــبَ ثُـــمَّ ذَرَرْتُ فِيـــهِ هَـــوَاكَ فَلِيَـــوْمَ فَالْتَـــامَ الْفُطُـــورُ

تَخَلَّفَـــنَ حَيْـــثُ لَـــمْ يَبْلُـــغْ شَـــرَابٌ وَلا حُـــزْنٌ وَلَـــمْ يَبْلُـــغْ سُـــرُورُ

" قوله التام الفطور، أراد الفطور منه، فحذف تخفيفا، لأن المراد معلوم " (٥).

---

(١) ابن هني: مشكل أبيات الحماسة، حماسية (٥١)، ص ١٠١.

(٢) انظر على سبيل المثال لا الحصر: ابن هني: مشكل أبيات الحماسة، حماسية (٦٠) ص ١١٠، وانظر كذلك على سبيل المثال لا الحصر: المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، حماسية (١٢) (١ / ٩٠)، وحماسية (٣٤) (١ / ١٦٨)، وحماسية (٣٢) (١ / ١٧١)، وحماسية (٤٢) (١ / ١٩٩)، وحماسية (٦٦) (١ / ٢٤٩)، وحماسية (٧٢) (١ / ٢٦٤)، وحماسية (٤٣٨) (٢ / ١١٨٠)، وحماسية (٤٥٥) (٢ / ١٢٢٠)، وحماسية (٤٥٦) (٢ / ١٢٢٣)، وغيره الكثير مما لا يتسع المقام لذكره.

(٣) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، حماسية (٣٥)، (١ / ١٨٣)، وانظر على سبيل المثال لا الحصر كذلك: حماسية (١٤٧) (١ / ٤٢٨)، وحماسية (٢١٢) (١ / ٦٤٤)، وحماسية (٢٦٠) (١ / ٧٧٥)..... إلى آخره من الشواهد التي يضيق المقام عن ذكرها جميعا.

(٤) ابن هني: مشكل أبيات الحماسة، حماسية (٧٩)، ص ١٢٧.

(٥) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، حماسية (٥٥١)، (٢ / ١٣٥٤).

obeikandl.com

وقول يحيى بن زياد (الطويل)

مَـضَى صَـاحِبِي وَاسْـتَقْبَلَ الـدَّهْرَ ضَـرْغَمِي فَلاَبُـدَّ أَنْ أَلْقَـى جَنَـابِي فَأَصْـرَعَا

" ويقال: لا بد من أن يكون كذا، ولا بد أن يكون كذا، وأن يحذف حرف الجر معه كثيرا " (١).

(ب) حذف حرف الجر " عن ":

مثل قول بعض شعراء حمير: (المنسرح)

وَلا يَجِـبِّـيمُ اللِّقَـاءَ فَارِسُـهُمْ حَتَّـى يَـشُقَّ الـصُّفُوفَ مِـنْ كَزَبَـهْ

" يقول. ولا يجبن عن اللقاء فارسهم فيحجم، ولا يضعف دونه فيحار، بل يقدم إقداماً تخرق الصفوف به عزة نفس، وكرم عرق. واللقاء ينتصب على المفعول، الأصل عن اللقاء، فلما حذف حرف الجر تحنيأ وصل الفعل فعل " (٢).

ومثله قول الربيع بن زياد العبسي: (المتقارب)

غَـدَاةَ مَـزَزْتُ بِـآلِ الزَّنَـا بِ تُعْجِـلُ بِـالرَّكْضِ أَنْ تَلْجِمَـا

" كان الواجب أن يقول تعجل بالركض عن أن تلجم، فحذف الجار ووصل الفعل فعمل. وفي القرآن: "وما أعجلك عن قومك يا موسى" (طه / ٨٣) " (٣).

(ج) حذف حرف الجر " في ":

كقول أوس بن حجناء: (الطويل)

فَـإِنْ أَنْـتَ لَـمْ تَقْـدِرْ عَلَـى أَنْ تُهِينَـهُ فَـذَرْهُ إِلَـى الْيَـوْمِ الَّـذِي أَنْـتَ قَـادِرُهْ

يقول المرصفي: " (أنت قادره) يريد أنت قادر فيه فحذف الجار وهو يريده " (٤).

وبقول الأعلم الشنتمري في قول سعد ناشب المازني: (الطويل)

وَفِـي اللَّـبْنِ مَنْـدُوحَةٌ ، وَالـشَّرَابَةِ هَنِيَّـةٌ وَمَـنْ لا يُهِـبْ يُحْمَـلْ عَلَـى مَرْكَـبٍ وَعْـرِ

" أراد " في الشراسة هنية " فحذف حرف الجار لما تقدم ذكره، وهذا كثير في الكلام والشعر كما قال تعالى: " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " (يونس / ٢٦ ، ٢٧) ثم قال بعد: " والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة " أراد وللذين كسبوا، فحذف لعلم السامع " (٥).

وقول الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب: (البسيط)

لا تَطْمَعُـوا أَنْ تُهِينُونَـا وَنُكْـرِمَكُمْ وَأَنْ نَكُـفَّ الأَذَى عَـنْكُمْ وَتُؤْذُونَـا

---

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (٢٨١)، (١ / ٨٦٢).
(٢) نفسه: حماسية (١١١)، (١ / ٣٣٣).
(٣) نفسه: حماسية (١٦٣)، (١ / ٤٨٥).
(٤) المرصفي: أسرار الحماسة، ص ٨.
(٥) الأعلم الشنتمري: تحلي ظرر المعاني، ص ٢٥٠.

obeikandi.com

" يقال: طمع فلانٌ في كذا طمعاً وطماعيةً ومطمعاً. وأوصل الفعل بنفسه من دون في، لأن ان المخففة والشديدة إذا اتصل بها حروف الجر حَسن حذفها لطول الكلام بها. تقول: أنا راغبٌ في أن ألقاك، وطامعٌ في أن يحسن زيدٌ إليك، وحريصٌ على أن أصلك. ولو قلت: أنا راغب أن ألقاك، وطامع في أن يحسن زيد إليك، وحريص على أن أصلك لجاز. ولو جعلت مكان أن المصدر فقلت: أنا راغبٌ في لقائك، وطامعٌ في إحسان زيد إليك، وحريصٌ على صلتك، لم يجز حذف حرف الجر. لا تقول: أنا راغب لقاءك، وطامع إحسانه إليك، وحريصٌ صلتك، لأن ما كان يطول الكلام به لم يحصل. يقول: لا تقدروا أنكم إذا أحسنتمونا قابلناكم بالإكرام، وأنكم إذا آنيتمونا كففنا عن أذاكم، لأن عزتنا تمنع من ذلك " (١).

(د) حذف حرف الجر " اللام ":

مثل قول جزء من بن كليب النقعسي: (الطويل)

تَبَغَّى ابْنَ كُوزٍ وَالسَّفَاهَةُ كَاسْمِهَا ... لِيَسْتَاذَ مِنَّا أَنْ شَتَوْنَا لِيَالِيَا

" قوله " ان شتونا " موضعه نصب، أصله لأن شتونا، فلما حذف الحرف الجار وصل الفعل فعمل. ومعنى شتونا. قحطنا وأقمنا في القحط كما تقول شتونا بمكان كذا. ويقال: اشتينا، إذا أردت دخلنا في الشتاء " (٢).

(هـ) حذف حرف الجر " الباء ":

وحذف الجار ـ ومنها الباء ـ مع أن كثيرا، كما في قول تميلة بنت المنضر بن الحارث: (الكامل)

ظَلَّتْ سُيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنُوشُهُ ... لله أُزْهَاقٌ هُنَاكَ شُقَّقُ

أَمْعَدَّةً وَلَأَنْتَ تَجْزَعُ نَوْبَةً ... مِنْ قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُفْرِقُ

مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا ... مَنَّ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيظُ الْمُحْنَقُ

وَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَضَرَّتْ وَبِيلَهُ ... وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عَتْقٌ يُعْتَقُ

وقولها وأحقهم إن كان عتق يعتق أرادت: وأحقهم بأن يعتق إن كان عتق، اي إن وقع عتق، فحذف الباء، وحروف الجر مع أن تلغى كثيرًا " (٣).

(و) حذف حرف الجر " على ": مثل قول كثيرة في مية: (الطويل)

أَلَا حَبَّذَا أَهْلَ الْمَلَا غَيْرَ أَنَّهُ ... إِذَا ذُكِرَتْ مَيٌّ فَلَا حَبَّذَا هِيَا

عَلَى وَجْهِ مَيٍّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَاحَةٍ ... وَتَحْتَ الثِّيَابِ الْبِزُّ لَوْ كَانَ بَادِيَا

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يُخْبِثُ طَعْمَهُ ... وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ فِي الْعَيْنِ صَافِيَا

إِذَا مَا أَشَامَتْهُ وَارِدٌ مِنْ ضَرُورَةٍ ... ثَوَى بِأَضْعَافِ الَّذِي جَاءَ ظَامِيَا

كَذَلِكَ مَيٌّ فِي الثِّيَابِ إِذَا بَدَتْ ... وَأَثْوَابُهَا رُكْبَانُ مِنْهَا الْمَغَازِيَا

فَلَوْ أَنَّ غَيْلَانَ الشَّقِيَّ بَدَتْ لَهُ ... مُجَرَّدَةً يَوْمًا لَمَا قَالَ ذَا لِيَا

فَقُولِي مَضَى مِنْهُ وَلَكِنْ لَرُبَّهُ ... إِلَى غَيْرِ مَيٍّ أَوْ لِأَصْنَعَ مَنَالِيَا

---

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، حماسية (٥٥)، (١ / ٢٢٤).
(٢) نفسه: حماسية (٦٣)، (١ / ٢٤١).
(٣) نفسه، حماسية (٣٣٢)، (١ / ٩٦٦).

" قولها بأضعاف الذي جاء، تريد جاء عليه، فحذف حرف الجر ووصل الفعل بنفسه، فصار جاءه، ثم حذف الضمير من الصلة استثقالاً واستطالة لكون أربعة أشياء شيئاً واحداً: الموصول، والفعل، والفاعل، والمفعول، ومن حوز حذف الجار والمجرور من الصلة فالأمر عنده أقرب " (١).

ومما وقع فيه حذف " على " مع " أن " لطوله بصلته ، قول حندج بن حندج: (البسيط)

مـــا أقـــدرَ اللهَ أنْ يُـــدنِي علـــى شَـــحَطٍ مَـــنْ دارُهُ الخَـــزَّنُ مِمَّـــنْ دارُه صَـــوَلُ
اللهُ يَطْـــوِي يَـــدَ الأرْضِ بَيْنَهُمَـــا حَتَّـــى يُـــزَى الزَّيْـــعُ مِنْـــهُ وهْـــوَ مَـــأهُولُ

" قوله " ما أقدر الله " لفظه تعجب ومعناه الطلب والتمني. وكان الواجب أن يقول: ما أقدر الله على أن يدني، فحذف الجار، ومثل هذا الحذف يكثر مع أن لطوله بصلته " (٢).

(ز) الألف: كما في قول رجل من شعراء حمير: (المنسرح)

كأنَّمـــا الأُسْـــدُ فِـــي غَـــرِينِهِمُ وَنَحْـــنُ كالنَّبْـــلِ جَـــاشَ فِـــي كَنَبَـــهْ

" وينبغي أن يكون ما أراد في قتامه، فحذف الألف تخفيفا " (٣).

وقول عمرو بن معد يكرب: (الطويل)

عَـــلامَ تَقُـــولُ الـــرُّمْحُ يُثْقِـــلُ مَنْـــاكِبِي إذا أنَـــا لَـــمْ أطْعَـــنْ إذا الخَيْـــلُ كَـــرَّتِ

يقول الشارح: " ما في الاستفهام إذا اتصل بحرف جر يحذف الألف من آخره تخفيفاً، على ذلك فبم وبم ولم، إلا إذا اتصل ما بذا فقلت: بماذا ولماذا، لأنه يترك على تمامه " (٤).

(ح) التاء: كما في قول عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي، ويقال إنه للسموءل ابن عاديا اليهودي: (الطويل)

وَمَـــا قَـــلَّ مَـــنْ كَانَـــتْ بَقَايَـــاهُ مِثْلَنَـــا شَـــبَابٌ تَسَـــامَى لِلْعُـــلاَ وَكُهُـــولُ

" وقوله تسامى أراد تتسامى، فحذف إحدى التاءين استثقالاً للجمع بينهما " (٥).

وقول حبيبة ابنة عبد العزى: (الكامل)

أبَـــى الفُـــؤادُ بَـــرْدَ ثَكْلَـــى نَـــاقِمِي فَقَـــدَ ابْنَـــهَا مَنَـــاسِـــمُهَا النَّجِيـــعُ الأَســـوَدُ
إنِّـــي وَرَبِّ الرَّاقِصَـــاتِ إلَـــى مِنًـــى بِجُنُـــوبِ مَكَّـــةَ هَـــدْيُهُ مُتَقَلِّـــدُ
أوْلِـــي عَلَـــى هَلْـــكِ الطِّغَـــامِ أَنِيَّـــةٌ أبَـــدًا وَلَكِنِّـــي أَبِـــينُ وَأَتَّئِـــدُ

" تريد أتتلكأ نادمي، أي أتحبس وتتبطأ، فحذف إحدى التاءين تخفيفاً، لأن الإدغام ممتنع هنا " (٦).

---

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٦٦٨)، (٢ / ١٥٤٢ ، ١٥٤٣).
(٢) نفسه: حماسة (٨٢٧)، (٢ / ١٨٣١).
(٣) ابن هني: مشكل أبيات الحماسة، حماسة (٧١)، ص ١١٩.
(٤) المرزوقي. شرح ديوان الحماسة: حماسة (٢٩)، (١ / ١٥٩).
(٥) نفسه: حماسة (١٥)، (١ / ١١٢).
(٦) نفسه: حماسة (٧١٦)، (٢ / ١٦٣٦).

obeikandl.com

(ط) حذف حرف " النون ": والتي قد تحذف النون استطالة للاسم بصلته، كما في قول العديل بن الفرخ العجلي: (الطويل)

هُمَـــا نَفَثَـــا الأَرْضِ اللَّـــذَا لَـــوْ تَزَغْزَغَـــا تَزَغْـــزُعَ مَـــا بَـــيْنَ الجَنُـــوبِ إِلَـــى الـــسَّدِّ

" أراد اللذان، فحذف النون لطول الاسم بصلته " (١).

" أراد تشوقينني، فحذف النون الثانية على ما تقدم " (٢).

أو للتخفيف كما في قول الطرماح بن حكيم الطائي: (الطويل)

وَأَنِّـــي شَـــقِيٌّ بِالنِّـــسَاءِ وَلا تَـــرَى شَـــقِيًّا بِهِـــمْ إِلا كَـــرِيمَ الـــشَّمَائِلِ

" قوله " وإني شقيٌ " أصله أنني، لكنه حذف النون الأولى من أن تخفيفاً لأنه اجتمع ثلاث نونات " (٣).

وقد يسوق الشارح في ذلك ما يدعم رأيه من أشعار العرب، من خلال نثره للمعنى، وشرحه له، كما جاء في قول رجلٌ من بني كلبب: (الوافر)

وَحُبِّـــتْ نَـــائِبِي طُرًّـــا وَشَـــوْقًا إِلَـــيَّ مِـــنَ بِـــالْحَبِينِ تُـــشَوِّقِينِي

يقول الشارح: " قوله تشوقيني حذف نونه استثقالاً لاجتماع نونين، والأصل تشوقينني. ومثله في الحذف قول الأخر: (الوافر)

يَسُوءُ الْفَالِيَاتِ إِذَا فَلَيْنِي

يريد فليننني. والمعنى: اشتكت نائبتي حدةً لطريها وشوقها. ثم أخذ يخاطبها منكراً عليها ما ظهر منها فقال: تشوقينني بحنينك إلى من؟ أراد أنه مع حصول اليأس يجب ألا تحن ولا تشوق. ويجوز أن يكون المعنى تعظيم المشتاق إليه، فكأنه قال: تشوقينني إلى من بحنينك؟ أي إلى إنسانٍ وأي إنسان؟ ومن من قوله إلى من في هذا الوجه يكون نكرة غير موصوفةٍ وإن كان الكلام خبراً، وفي المعنى الأول يكون من استفهاماً. وتقول: مررت بما صالحٍ، ومررت بمن كريمٍ. تريد بإنسانٍ كريمٍ " (٤).

(ي) حذف " الياء ": مثل قول بشر بن المغيرة: (الطويل)

فَيَـــا عَـــمْ مَهْـــلاً وَاتِّئِـــدْنِي لِنَوْبَـــةٍ تُلِـــمُّ فَـــلِلْ الـــدَّهْرِ جَـــمُّ نَوَائِبُـــهْ

" وقوله " يا عم " حذف الياء منه لوقوعه موقع ما يحذف في هذا الباب، وهو التنوين، ولأن باب النداء باب إيجاز، ولأن الكسرة تدل عليه " (٥).

---

(١) ابن جني: مشكل أبيات الحماسة: حماسية (١٣٣)، ص ١٩٣.
(٢) نفسه: حماسية (٥٨)، ص ١٠٩.
(٣) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (٥٦)، (١ / ٢٢٧).
(٤) نفسه: حماسية (٩٠)، (١ / ٢٩٤).
(٥) نفسه: حماسية (٧٢)، (١ / ٢٦٦).

obeikandi.com

(ك) حذف الهمزة: قيلي جانب حذف الهمزة تخفيفا، كما في قول الهذلول بن هبيرة: (الطويل)

أَبَيْنَى وقِدْ لابَيْنَ الغُزَيِّزةِ عِرْضَهُ ... إلَى خَالِدِ بنْ آلِ مُسْلَى بْنِ جَنْدَلِ
فَمَا أَبْتَغِي فِي مَالِكٍ بَعْدَ ذَارِعٍ ... وَلا أَبْتَغِي فِي ذَارِعٍ بَعْدَ نَهْشَلِ
وَمَا أَبْتَغِي فِي نَهْشَلٍ بَعْدَ جَنْدَلٍ ... إذَا مَا دَعَا الدَّاعِي لأَمْرٍ مُجَلْجَلِ
وَمَا أَبْتَغِي فِي جَنْدَلٍ بَعْدَ خَالِدٍ ... لِطَارِقِ لَيْلٍ أَوْ لِغَانٍ مُكَبَّلِ

" قوله (الكتي) أي أعنى على أداء الوكتي، وهي الرسالة. وقد تقدم القول في هذه اللفظة، وأن أصلها الكتي، فقلب وقدم اللام على الهمزة فصار لتكي، ثم حذفت الهمزة استخفافا وألقيت حركتها على اللام فصار الكتي " (١).

أو لكثرة الاستعمال كما في قول قراد بن حنش الصاردي: (الطويل)

لَقَوْمِي أَزْعَى لِلْغَنِي مِنْ عِصَابَةٍ ... بَنِي النَّاسِ يَا خَارِ بْنَ عَمْرٍو تَعُدُّهَا
وَأَنْتُمْ مِنَاعَاةٌ يُقَيِّبُ النَّاسَ رِزْقُهَا ... بِآبِدَةٍ تُنْجِي شَدِيدٍ وَبِيدُهَا
تَقَطَّعُ أَطْنَابَ البُيُوتِ بِخَاعِبٍ ... وَأَكْدَنْ شَزْنٍ يَزْقُهَا وَيَغُوذُهَا
فَوَيْلُمِّهَا خَيْلاً بِهَا وَشَارَةً ... إذَا لاقَتِ الأَعْدَاءَ لَمْ تَوَلِّ صُدُودُهَا

" وقوله لويلمها خيلاً انتصب خيلاً على التمييز، وحذفت الهمزة من أم في قوله ويلمها لكثرة الاستعمال، وليس الحذف هنا بقياس. واللفظة تفيد التعجب " (٢).

قد يحذف أكثر من حرف في الكلمة، مثل:

ـ حذف الهمزة والياء: كما في قول مرة بن محكان: (البسيط)

مَاذَا تَرَيْنَ أَتَانِيهِمْ لأَرْحُلِنَا ... فِي جَانِبِ البَيْتِ أَمْ يَبْسِي لَهُمْ قُبَّا
لِلزَّمْلِ الزَّادِ مَقْرُوبٍ بِحَاجَتِهِ ... مَنْ كَانَ وَكْرَةُ ثُمَّا أَوْ وَقِي خَمَنَا

" ترين: أصله ترأين، لأنه تفعلين، فحذف الهمزة استخفافاً بعد أن ألقي حركتها على الراء، فصار ترين ثم قلبت الياء الأولى ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فاجتمع ساكنان، وحذفت الألف منهما فصار ترين. والمعنى: أخبريني بعد رحوكِ إليهم ماذا فاتيه في شأنهم، وما الذي يرونه في إقامتهم وظعنهم، فإن أرادوا إطالة اللبث بنيا لهم قباباً يتفردون فيها، فذاك لنا لهم، وأبقى لحشمتهم؛ وإن أرادوا تخفيف اللبث حللناهم بأنفسنا، وأنعمناهم من رحالنا في جوانب بيوتنا، لأن الصبر مع خفة التلوم منهم على ما يعترض من أحوالهم ممكن " (٣).

ـ أو حذف النون والياء، كما في قول سويد بن مشنوء: (الطويل)

تُرِي غُنْمَكَ مَغْنُوذًا فَلا تَكْرَثَنَّهُ ... إِنَّ بُؤْسَ وَإِعْرَضِي لِسَبِيلِ
نَهِيْتُكِ عَنْهُ فِي الزَّمَانِ الَّذِي مَضَى ... فَلا يَنْتَهِي الغَاوِي لأَوْلِ قِيلِ

---

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (٣٥٦)، (٢ / ١٠٢٧).
(٢) نفسه: حماسية (٥٩٦)، (٢ / ١٤٣٠ ، ١٤٣١).
(٣) نفسه: حماسية (٦٧٦)، (٢ / ١٥٦٥ ، ١٥٦٦).

" وقوله: لا تنكرنه إلي كسر الراء منه لأنه مخاطبة مؤنث، والأصل تنكرينن، فحذف النون الأولى للجزم، ثم حذف الياء لالتقاء الساكنين ، فصار تنكرن. والمعنى: لا يتبين نكره إلي، ولا يتجاوزن نكره إلي بسوء. فعدى تنكرن تعدية تتجاوزن إلي، حملاً على المعنى " [1].

٦ ـ حذف التنوين، كما في قول أعرابي: (الرجز)

١ ـ ألا فتى ذال الفلا بهنبه
٢ ـ ليس أبوه بابن عم أمه
٣ ـ تزى الرجال تهتدي بأمه

" قوله ألا فتى تمن، وألف الاستفهام دخل على لا النافية لهذا المعنى، ولذلك حذف التنوين من فتى " [2]

٧ ـ حذف الضمائر:

وقد تحذف ضمائر الصلة؛ استطالة للاسم بصلته، مثل قول معن بن أوس: (الطويل)

وَكُنْتُ إِذَا مَا صَاحِبٌ رَامَ ظِنَّتِي ... فَهَدْلٌ سَنُوهًا بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ
فَثَبَّتَ لَهُ ظَهْرَ الْمِجَنِّ فَلَمْ أَنَمْ ... عَلَى ذَاكَ إِلا زَيَّفَتْ مَا أُتَحَوَّلُ
إِذَا انْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكَدْ ... إِلَيْهِ بِوَجْهٍ آخِرَ الدَّهْرِ تُقْبِلُ

"يقول وادا رأيت صاحبي يتجنى علي ويتحرم، ويتطلب على ما يفتح طنه ويولد تهمة، وطفق يقبح آثاري، ويبدل حسناتي، تخشنه عمداً، وقلبت له ظهر الترس متيأ منه، ومتلفاً له، ولم ادم على تلك الحال المستقمة معه إلا قدر ما أتحول، وبطه ما انتقل. فقوله(رام ظنتي) أي: رام ارتفاع التهمة على وقوله(بالذي كنت أفعل) أي أفعله، فحذف الضمير استطالة لصلة الذي"[3].

وقول عروة بن الورد: (الطويل)

أَزَى أُمَّ حَسَّانَ الْغَدَاةَ تَلُومُنِي ... تُخَوِّفُنِي الأَعْدَاءَ وَالنَّفْسُ أَخْوَفُ
لَعَمْرُ الَّذِي خَوَّفْتُنَا مِنْ أَمَامِنَا ... يُصَابِفُهُ فِي أَهْلِهِ الْمُتَخَلِّفُ

" يقول: لما هممت بالسفر وجعلته مني ببال اعترضت هذه المرأة على وأقبلت تلومني وتحذرني الأعداء في الوجه الذي أردت تيممه، ونفسي أشد أشد خوفا لأنها حساسة حذرة، لكني تجلدت لها وأجبتها بأن الذي أنذلاتناه من قدامنا، والسمت الذي هو نيتنا وطيبتنا، لعله بلقاه المتخلف عن السعي في طلب الرزق المقيم في أهله راضيا بأدون العيش؛ لأن الحذر لا يغني عن القدر، وقد يؤتى الإنسان من ناحية أمنه، ويصادف فيه ما لا يصادفه الخائف من ناحية خوفه. وقوله خوفتنا حذف الضمير العائد إلى الذي منه، استطالة للاسم بصلته " [4].

أو يحذف الضمير تخفيفا، كما في قول إياس بن مالك: (الطويل)

كِلاَ لَقَلَيْنَا طَامِعٌ بِقَبِيصَةٍ ... وَقَدْ قَدَرَ الرَّحْمَنُ مَا هُوَ قَابِلُ

---

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، حماسية (٦١٣)، (٢ / ١٤٦١ ، ١٤٦٢).
(٢) نفسه، حماسية (٧٩٠)، (٢ / ١٧٦٠ ، ١٧٦١).
(٣) نفسه، حماسية (٤٠٤)، (٢ / ١١٣١).
(٤) نفسه، حماسية (٧٦٥)، (٢ / ١٧٢٣ ، ١٧٢٤).

obeikandl.com

" المعنى: كل واحدٍ من الفارين طمع في اغتنام صاحبه، أي بعده غنيمةً، لثقته ببأسه ونجدته. والله عز وجل قد قدر من الإظفار وإعطاء الفلج والغلبة ما قدره، لا راد لحكمه، ولا معقب لأمره. ويقال قدرت من التقدير، قدراً وقدراً. و" هو قادر " إن شئت جعلت ما موصولاً بمعنى الذي، وإن شئت جعلته موصوفًا بمعنى شيئًا. وعلى الوجهين وجب أن يقول ما هو قادره، فحذف الضمير تخفيفًا " [1].

أو لأن المراد مفهوم، مثل ما جاء في قول المتلمس بن رياح: (الكامل)

وَقَدُودُ ناجِيَةٌ وَضَعْتُ بِأَقْزَةٍ ... وَالطَّيْرُ غاشِيَةُ العَوافي وَقْعُ
بِمَهَنَّدٍ ذِي جِنَّةٍ جَزَرَتْهُ ... يَبْرِي الأَصَمُّ مِنَ العِظامِ وَيَقْطَعُ

" قوله " غاشية العوافي " وجب أن يكون فيه ضمير للناقة، حتى يكون بين ذي الحال وبينه تعلق، فحذف ذلك الضمير لأن المراد مفهوم، ولو أتى به لكان والطير غاشية العوافي إياها وقع عليها " [2].

أو لأن الضمير لا يخيل، مثل ما جاء في قول برج بن مسهر: (الطويل)

مَنَعْتُ بِنَوْى الغُرُوبِ حَتَّى تَجَاوَزَتْ ... إِلَيَّ وَنَوْبِي مِنْ قَنَاةٍ شُجُونُهَا
إِلَى رَجُلٍ يُزْجِي المَنِيَّةَ غَلَّى الوَجَى ... بِقَافًا وَيَشْقَى بِالسِّنَانِ سَمِينُهَا
فَلِلْقَوْمِ مِنْهَا بِالغَرَاجِلِ طَبْخَةٌ ... وَلِلطَّيْرِ مِنْهَا أَرْثُهَا وَجَنِينُهَا

يقول الشارح: " ويشقى بالسنان سمينها، أي بالسنان له، فحذف الضمير لأنه لا يخيل. والمعنى أنه لا ينحر سمان الإبل للعفاة والضيوف. وقوله فللقوم منها بالمراحل طبخة منها رجع الضمير إلى قوله سمينها، لأنه أراد بها الجنس، وهذا إخبار عن حالتها وقد جزرت. فيقول: للوارد منها طبخة في المراجل، وللطير ارثها والولد الذي في بطنها " [3].

٨ ـ حذف المصدر:

مثل قول زبادة الحارثي: (الطويل)

وَمَا تَزْدَهِينَا الكِبْرِيَاءُ غَنِيَّهُمْ ... إِذَا كَلَّمُونَا أَنْ نُكَلِّمَهُمْ نَزْرَا

" ينتصب قوله " نزرا " على أنه صفة لمصدر محذوف، كأنه قال: نكلمهم كلاماً نزرًا. والمعنى لا يستخفنا الكبر إلى أن نتعلى عليهم، ونثقل الكلام معهم ترفعًا عن مساواتهم، بل نباسطهم ونكاثرهم في القول والسؤال، إيناساً لهم وتسكيناً منهم " [4].

وقول حجر بن خالد: (الطويل)

مَتَى تَنْعَ تَنْعَ البَأْسَ وَالجُودَ وَالنَّدَى ... وَتُصْبِحْ تَخُوضُ الحَرْبَ جَزْنَاءَ حَائِلاً
أَلَا مَلِكٌ مَا يُدْرِكَنَّكَ مَنْعَةٌ ... وَلَا سَوْقَةٌ مَا يَعْتَرِكَنَّكَ بَاطِلاً

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (١٩٤)، (١ / ٥٩٧ ، ٥٩٨).
(٢) نفسه: حماسية (٢٢٧)، (٢ / ١٦٥٦ ، ١٦٥٧).
(٣) نفسه: حماسية (٢٨١)، (٢ / ١٧٤٧ ، ١٧٤٨).
(٤) نفسه: حماسية (٦٣)، (١ / ٢٤٥).

" وقوله ما يمدحنك باطلا أراد مدحا باطلا، فانتصب باطلا على أنه صفة لمصدر محذوف " [1].

٩ ـ الحذف في أسلوب النداء:

مثل حذف المنادى، كما في قول حفص بن عليم: (الطويل)

فَيَـــا رَبَّ إنْ لَـــمْ تَقْـــضِهَا بِـــي فَـــلاَ تُـــذِعْ ... فَـــذُوقَ لَهُـــمْ وَالْقَـــبْضَ فَـــذُوقَ كَمَـــا هِيَـــا
وَيَالَيْـــتَ أَنَّ اللهَ إنْ لَـــمْ أَلاَقِهَـــا ... فَـــقَضَى بَـــيْنَ فَـــلَّ الثَّـــنِيَّيْنِ أَلاَّ تَلاَقِيَـــا

فـ " قوله يالَيت يريد: يا قوم ليت، والمنادى محذوف، والكلام بعده تمن في ألا يحصل الاجتماع بين متحابين إن لم يرزق مثله في صديقه " [2].

هذا إلى جانب أشكال كثيرة من الحذف أشار الشراح إليها، ويضيق المقام عن ذكرها، مثل: الحذف في أسلوب القسم [3]، الحذف في أسلوب التفضيل [4]، الحذف في أسلوب الاختصاص [5].

ومن خلال هذه الأشكال والأنواع من صور الذكر والحذف، نستطيع أن نلمح مسلك الشراح في تناول ذلك المبحث من مباحث علم المعاني ، الذي جاء جزء من كل، فما ينطبق على علم المعاني ككل ينطبق عليه بالتبعية من حيث: درجة اهتمام الشراح، وأسلوب التناول .. إلخ، والتي سبق الإشارة إليها من قبل.

لذلك جاءت إشارات الشراح في هذا المقام تجاه هذا المبحث ـ شأنه شأن غيره من مباحث علم المعاني ـ مختصرة موجزة، ينتظم وفق الإطار النحوي أكثر منه البلاغي، وإن لم يخل من بعض التحليلات التي ترتبط بالمعنى والسياق، الذي يكشف الشارح من خلالهما عن دواعي وأغراض الذكر والحذف وأنواعهما.

* * *

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسية (٧١٩)، (٢ / ١٦٤٢).
(٢) نفسه: حماسية (٥٣٧)، (٢ / ١٣٣٧).
(٣) انظر على سبيل المثال: المرزوقي شرح ديوان الحماسة، حماسية (١٤٠)، (١ / ٤١٠)، وحماسية (٣٧٥)، (٢ / ١٠٦١).
(٤) انظر على سبيل المثال: المرزوقي شرح ديوان الحماسة، حماسية (١٩٤)، (١ / ٥٦٥).
(٥) انظر على سبيل المثال: المرزوقي شرح ديوان الحماسة، حماسية (٢٦٩)، (١ / ٨٠٨)، وحماسية (٢٨٧)، (١ / ١٠٨٨)، وحماسية (٣٨٩)، (٢ / ١٠٩٢)، وحماسية (٤٥٣)، (٢ / ١٢١٠)، وحماسية (٧٩٤)، (٢ / ١٧٧٢) إلخ.